# آيات البعث في سورة الحج
## دراسة تحليلية تفسيرية

**دكتور/ إبراهيم بن محمد دومري**
**الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه**
**كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**

**ملخص البحث**

جاء البحث بعنوان: (**آيات البعث في سورة الحج .. دراسة تحليلية تفسيرية**).

وقد جاء في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث.

أما المقدمة فقد اشتملت على أسباب اختيار البحث، وأهميته، وأهدافه، وإشكاليته، وتساؤلاته، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجه، وأبرز الإجراءات البحثية، وخطته.

وفي هذا البحث عرضت للتعريف بسورة الحج، وعناية القرآن الكريم بتقرير العقيدة الصحيحة وأهمها عقيدة البعث والجزاء، والإيمان بالبعث وأهميته في حياة الإنسان ثم بينت بعضا من مقاصد سورة الحج، وأدلة البعث والجزاء في سورة الحج.

**مقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، وفصّل فيه من دلائل وحدانيته وبراهين قدرته، وبينات حكمته وبشارات رحمته ونُذُر عقابه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده، كتب على خلقه الفناء وتفرد وحده بالدوام والبقاء. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، والهادي إلى صراطه المستقيم صلى الله وسلم تسليما كثيرا .

**وبعد:**

فليس من حقيقة أوضح من الموت، وليس أدل من الموت على حقيقة من البعث والجزاء، وهي الحقيقة التي عليها مدار حياة الإنسان، وفي الإيمان بها الرشد والفلاح والفوز بالسعادة في جنات النعيم. ولذا كانت هذه الحقيقة أهم القضايا التي عني القرآن العظيم بإبرازها والتوكيد عليها، بكل ألوان بيانه المعجز وضروب خطابه المفهم؛ فتراه مصرحًا بها، وملمحًا إليها، ومعددًا صور الإقناع بها وبأجوبة ما يدور في خلد الإنسان من أسئلة حولها.

وإن رحلة للقلب والعقل والنظر بين آيات القرآن الكريم لأبلغ وفاءً بالدلالة على عظم عنايته بتثبيت حقيقة البعث وحتمية الجزاء في عقل الإنسان وبث الطمأنينة في نفسه إلى ما تحمل في ثناياها من براهين عدل الله – سبحانه– وبالغ حكمته وعزيز قدرته، من خلال بيان معجز في أدائه مبهر في دقته، زاخر بأدق وأعم ما يستثير النفس ويحض العقل على النظر والتفكر والتدبر في أمر معاشه ليجعله زادًا إلى معاده المؤكد المحتوم، حاشد بالصور العقلية والحسية والمشاهد المائجة بالحركة الموارة بدفق الحياة، حتى ليرى موقف البعث والحساب والجزاء رأي العين، ويستجيب لها بمجامع كيانه اقتناعًا وطمأنينة ورضاء وشوقًا إلى النعيم ووخوفا من العذاب.

فإذا كانت حقيقة الموت وما وراءه من بعث وجزاء هي من أوضح الحقائق، ولذا كان الإيمان بها هو دليل العقل السوي والقلب السليم ولو لم يصله بلاغ رباني بها ولم يأته من رسالات الله برهان عليها.

ولذا كان للإيمان بها أبلغ الأثر وأبعد المدى في تقويم سلوك الإنسان وضبط أهوائه وكبح شهواته وترويض نزعاته ورغباته، وتخليته من الموبقات والرذائل، وتحليته بمكارم الأخلاق والفضائل، وتهدئة روعه من الشك، ومطامنة نفسه من الحيرة، والأخذ بيده إلى طاعة الله في أمره ونهيه، رجاءً في رحمته وخوفًا من عذابه.

والمتأمل المتدبر في سورة الحج يراها من أحفل سور القرآن الكريم بحقيقة البعث والجزاء، كشأن سوره المكية عامة، لما تمثله هذه الحقيقة من قضية جوهرية في الدعوة إلى الله تعالى وحده، وإلى الإيمان به جل شأنه ونبذ ما يعبد المشركون من دونه.

وإذا كانت حقيقة البعث والجزاء على هذه الأهمية المطلقة من بين حقائق الحياة، وكانت سورة الحج على هذا الاحتفاء بها وحشد الدلائل والبينات والبراهين عليها، فقد وقع اختياري على موضوع هذا البحث، وجعلته تحت عنوان: "**آيات البعث في سورة الحج دراسة تحليلية تفسيرية**".

**أسباب اختيار البحث:**

يمكن حصر أسباب اختيار هذا الموضوع للدراسة،فيا يأتي:

– أن حقيقة البعث والجزاء هي كبرى حقائق الوجود الإنساني بعد حقيقة الإيمان بالله تعالى ووحدانيته.

– أن الخطاب القرآني في سورة الحج وما حفلت به من آيات تجلّي حقيقة البعث والجزاء؛ ومواجهة عناد المشركين وجحودهم ونكرانهم للآخرة والبعث والجزاء.

– أن البيان القرآني في سورة الحج دليل على بلاغته في لفت الأنظار والأفهام والقلوب بأبلغ حجة وأسطع برهان على قدرة الله تعالى في بعث الناس وحسابهم.

**أهمية البحث:**

تتمثل أبرز وجوه أهمية موضوع البحث فيما يمكن إيجازه على الإجمال التالي:

– أهمية حقيقة البعث والجزاء والإيمان بها، ومعرفة دلالاتها، من خلال القرآن الكريم.

– أن سورة الحج من أكثر سور القرآن الكريم احتفاء بحقيقة البعث والجزاء، وحشد الدلائل عليها، وتفصيل بيان حال منكريها في مدارك العذاب وحال الموقنين بها والعاملين لها في مدارج النعيم والرضوان.

– أن جوهر رسالات الله تعالى إلى الناس التي حمّلها رسله وأنبياءه يدور حول إقامة البراهين على بطلان مذاهب منكري البعث والجزاء.

**أهداف البحث:**

يهدف البحث إلى عدة أهداف يمكن إجمالها في التالي:

– تبيُّن المسالك المتنوعة لسورة الحج في إقرار حقيقة البعث والجزاء من خلال ما حفلت به من أدلة عليها.

– تجلية حقيقة أن أمر البعث والجزاء رباني المصدر، تتلقى القلوب والعقول الأدلة عليه من الوحي الإلهي.

– الرد – من خلال الهدفين السابقين– على أهل الزيغ والضلال من منكري البعث والجزاء، بتبيان ما أثبتته آيات البعث والجزاء في سورة الحج، ودرء شبهاتهم وتفنيد دعاواهم الداحضة.

**إشكالية البحث:**

إن من أخطر ما يموج به الواقع المعاصر هو ما تضطرب به بعض الأفكار الضالة التي ينكر أصحابها حقيقة البعث والجزاء مثيرة الشبهات حولها، على نحو يفوق موجات أخرى من الإلحاد طواها تاريخ الفكر الإنساني. وإن في كتاب الله تعالى ما يفي ويكفي وزيادة في الرد على هذه الشبهات والأباطيل.

وإن من أقوم المسالك إلى ذلك هو في استنباط المعاني العقدية التي تستقيم بها الحياة كما بينتها آيات سورة الحج.

**تساؤلات البحث:**

ينطلق البحث من سؤال رئيس؛ يمكن بلورته في العبارة التالية:

ما هي الآيات الواردة في البعث والجزاء في سورة الحج؟

وحول هذا السؤال تتفرع عدة من الأسئلة الأخرى التي يمكن إيجازها في التالي:

– ما هي أبرز البراهين التي أقامها الخطاب القرآني على حقيقة البعث والجزاء في آيات سورة الحج؟

– ما هي أبرز البراهين التي دحض بها الخطاب القرآني في سورة الحج حجج منكري البعث والجزاء؟

– ما هي أبرز القضايا والمضامين الإيمانية التي أحاطت بآيات سورة الحج في بيانها وإقرارها لحقيقة البعث والجزاء.

**حدود البحث:**

يتجه البحث في حدوده إلى بيان الآيات الواردة في البعث من خلال سورة الحج "دراسة تحليله"؛ ومن ثم يقتصر على ما جاء في تفسير هذه الآيات من استنباطات تتعلق بتقرير البعث؛ فيستخرج منها جميع ما يتعلق بدلالة الآيات حول هذه القضية.

**الدراسات السابقة:**

لقد كانت الدراسات المتعلقة بحقيقة البعث والجزاء شغلًا شاغلًا لكثير من العلماء والمفسرين على مدى العصور، على نحو يعسر معه – إلى حد الاستحالة– بيانها جميعا في وجازة هذا الموضوع،إلا أنه بالإمكان التعريج على أبرز ما وقفت عليه من دراسات حول قضية البعث والجزاء في القرآن الكريم في الدراسات الحديثة والمعاصرة، وذلك على الإيجاز التالي:

١- أدلة البعث في القرآن الكريم دراسة تفسيرية تحليلية – إعداد الدكتور/ فهد صالح الخنه – كلية الشريعة – قسم التفسير – جامعة الكويت. يتفق معي في محل موضوع البحث لكن في الحقيقة بحثه مقتضب ويتصف بالعموم بينما بحثي قائم على تحديد الآيات الخاصة بالبعث من خلال سورة الحج وقد خلى بحثه من هذا التحديد.

٢- البعث وأدلته العقلية في القرآن الكريم : دراسة عقدية – إعداد/ هند بنت دخيل الله بن وصل – حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق – جامعة الأزهر – ٢٠١٧. والبحث يتفق مع بحثي من حيث قضية البعث لكن يختلف مع بحثي إذ بحثي خاص بتفسير آيات البعث في سورة الحج دراسة تحليلية.

**منهج البحث:**

في ضوء عنوان هذا البحث جاء منهجه الذي اتبعته فيه ممثلًا في المنهج الوصفي التحليلي مع الاستقراء القائم على استنباطات المفسرين وجمعها، ثم تحليلها ودراستها؛ لبيان حقيقة البعث والرد على شبهات المنكرين لها.

**أبرز ملامح منهج البحث المتبع:**

ما يلي:

١- استخرجت الآيات الواردة في موضوع البحث، مع بيان أقوال المفسرين فيها وأدلتهم ومناقشة ما يحتاج إلى مناقشة.

٢- خرجت الأحاديث والآثار من كتب السنة، مع الاكتفاء بتخريجها من أحد الصحيحين أو كليهما إن كان الحديث فيهما أو في أحدهما، وإن لم يكن كذلك خرجت الحديث من مظانه المختلفة في السنن، والمسانيد، والمصنفات وغيرها، مع الإشارة إلى درجته من حيث الصحة والضعف ما أمكن.

٣- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

٤- وثقت نصوص أهل العلم وأقوالهم من كتبهم ما أمكن، فإن لم يمكن يتم توثيقها من المصادر الجامعة التي نقلت عنهم.

٥- عملت فهرسًا موضوعيًا ييسر الوصول إلى موضوعات البحث.

**خطة البحث:**

جاءت خطة البحث على النحو التالي:

**التمهيد:** وفيه:

- التعريف بسورة الحج.
- عناية القرآن الكريم بتقرير العقيدة.

**المبحث الأول: مقاصد سورة الحج والتعريف بالبعث**، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** مقاصد سورة الحج.

**المطلب الثاني:** التعريف بالبعث في اللغة والاصطلاح، والألفاظ ذات الصلة.

**المبحث الثاني: تقرير عقيدة البعث والجزاء**، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** عناية القرآن في البعث وتقريره.

**المطلب الثاني:** شبه المنكرين للبعث ورد القرآن عليها.

**المبحث الثالث: الإيمان بالبعث وأهميته في حياة الإنسان**، وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** ضرورة الإيمان بالبعث وأهميته كما أوضحته السورة الكريمة.

**المطلب الثاني:** منهج السورة في دعوة الخصوم إلى الإيمان بالبعث.

**المطلب الثالث:** التنوع الدلالي في إثبات البعث في سورة الحج.

**المبحث الرابع: أدلة البعث والجزاء في سورة الحج**، وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** الاستدلال بإعادة الخلق.

**المطلب الثاني:** الاستدلال بالتدرج في خلق الإنسان.

**المطلب الثالث:** الاستدلال بالخلق والإيجاد من عدم.

**الخاتمة:** وتضمنت أهم نتائج البحث وأبرز توصياته.

**المصادر والمراجع.**

## التمهيد

وفيه:

- **التعريف بسورة الحج.**
- **عناية القرآن الكريم بتقرير العقيدة.**

- **التعريف بسورة الحج**

سورة الحج هي السورة الثانية والعشرون في القرآن الكريم بحسب ترتيب المصحف العثماني، وقد عُدَّت السورة الخامسة بعد المائة في عداد نزول سور القرآن فقد ذكروا أنها نزلت بعد سورة النور وقد ورد ذلك في رواية جابر بن زيد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: نزلت بعد سورة النور، وقبل سورة المنافقين[١]. وقد وافقه ابن جزي في التسهيل[٢] وآياتها ثمان وسبعون آية عند الكوفيين[٣]، وقال الداني: "هي سبعون وأربع آيات في الشامي وخمس في البصري وست في المدنيين وسبع في المكي وثمان في الكوفي" [٤].

وآياتها منها ما نزل بمكة المكرمة، ومنها ما نزل بالمدينة، فهي من السور المختلطة. قال جمهور أهل العلم: هذه السورة بعضها مكي، وبعضها مدني، وهي مختلطة، أي: لا يُعْرَف المكي بعينه، والمدني بعينه. قال ابن عطية: "وهو الأصح"[٥]. وقال القرطبي: "وقال الجمهور: السورة مختلطة، منها مكي ومنها مدني. وهذا هو الأصح، لأن الآيات تقتضي ذلك، لأن "يا أيها الناس" مكي، و"يا أيها الذين آمنوا " مدني"[٦]. وقد وضَّح ابن عاشور المراد بقولهم: إنها (مختلطة)، حيث قال: "ليس هذا القول مثل ما يكثر أن يقولوه في بضع آيات من عدة سور: إنها نزلت في غير البلد الذي نزل فيه أكثر السورة المستثنى منها، بل أرادوا أن كثيرًا منها مكي، وأن مثله أو يقاربه مدني، وأنه لا يتعين ما هو مكي منها، وما هو مدني؛ ولذلك عبروا بقولهم: هي مختلطة[٧]".

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٨٣/١٧).
(٢) انظر:التسهيل لعلوم التنزيل (٣٢/٢).
(٣) انظر:الكشف والبيان (٥/٧)، معالم التنزيل (٣٢٢/٣)، الكشاف (١٤١/٣).
(٤) البيان في عدّ آي القرآن، ص (١٨٩).
(٥) المحرر الوجيز (١٠٥/٤).
(٦) الجامع لأحكام القرآن (١/١٢).
(٧) التحرير والتنوير (١٨٠/١٧).

**وقد ورد أن بداية السورة نزلت في السفر:**

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴾[1] على النبي ﷺ وهو في مسير له فرفع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه ثم قال: ((أتدرون أي يوم هذا؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((ذلك يوم يقول الله عز وجل لآدم عليه السلام: يا آدم، قم فابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحد في الجنة))، فكبُرَ ذلك على المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: ((إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة))، ثم قال رسول الله ﷺ: ((سددوا، وقاربوا، وأبشروا، فوالذي نفسي بيده، ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة في ذراع الدابة، وإن معكم لخليقتين، ما كانا مع شيء قط إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج، ومن هلك من كفرة الإنس والجن))[2]. وقال ابن عاشور في هذا الصدد أيضًا: "ويشبه أن يكون أولها نزل بمكة؛ فإن افتتاحها بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ جارٍ على سَنَن فواتح السور المكية. وفي أساليب نظم كثير من آياتها ما يلائم أسلوب القرآن النازل بمكة. ومع هذا فليس الافتتاح بـ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ بمعين أن تكون مكية، وإنما قال ابن عباس: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ يراد به المشركون. وأحسب أنه لم تتعين طائفة منها متوالية نزلت بمكة، ونزل ما بعدها بالمدينة، بل نزلت آياتها متفرقة. ولعل ترتيبها كان بتوقيف من النبي ﷺ، ومثل ذلك كثير؛ لذلك فأنا أحسب هذه السورة نازلًا بعضها آخر مدة مقام النبي ﷺ بمكة، كما يقتضيه افتتاحها بـ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، فقد تقرر أن ذلك الغالب في أساليب القرآن المكي، وأن بقيتها نزلت في مدة مقام النبي ﷺ بالمدينة"[3]، وبين هبة الله بن سلامة أنها من أعاجيب سور القرآن؛ لأن فيها مكيًّا ومدنيًّا، وحضريًّا وسفريًّا، وحربيًّا وسِلْمِيًّا، وليليًّا ونهاريًّا، وناسخًا ومنسوخًا[4].

**سبب تسميتها:** سميت هذه السورة سورة الحج في زمن النبي ﷺ، وليس لها اسم غير هذا.

ووجه تسميتها سورة (الحج) أن الله ذكر فيها كيف أمر إبراهيم عليه السلام بالدعوة إلى حج البيت الحرام، وذكر ما شرع للناس يومئذ من النسك؛ تنويهًا بالحج، وما

(١) سورة الحج آية: ١.

(٢) أخرجه عبد بن حميد في المسند (١١٨٧- المنتخب)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٥٤)، والحاكم (٢٩/١)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٢٤٨٥) من حديث أنس بن مالك. وصححه ابن حبان والحاكم والضياء.

(٣) التحرير والتنوير (١٨٠/١٧).

(٤) انظر:الناسخ والمنسوخ، ص (٢٦).

فيه من فضائل ومنافع، وتقريعًا للذين يصدون المؤمنين عن المسجد الحرام، وإن كان نزولها قبل أن يُفْرضَ الحج على المسلمين بالاتفاق، وإنما فُرِض الحج بالآيات التي في سورة البقرة وفي سورة آل عمران.

**فضل السورة:** وردت بعض الأحاديث في فضيلة سورة الحج منها:

أنها فضلت على سائر السور التي فيها سجدات تلاوة أن بها سجدتان، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله: في سورة الحج سجدتان؟ قال: نعم، ومن لم يسجد فلا يقرأها(١).

وعن عمرو بن العاص، «أن رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن، منها ثلاث في المفصل، وفي سورة الحج سجدتان»(٢).

– وعن نافع، أن عمر وابن عمر رضي الله عنهما، كانا يسجدان في الحج سجدتين. قال: وقال ابن عمر رضي الله عنهما: فُضِّلت بسجدتين(٣).

وعمر، وابن عمر، وعلي، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، وأبي موسى وأبي الدرداء: كانوا يسجدون في الحج(٤).

**ومن فضائلها أن بالسورة أول آية نزلت في القتال:**

عن الزهري، قال: أول آية نزلت في القتال: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾(٥)، ثم ذكر القتال في آيٍ كثيرة(٦).

**أنها من أعاجيب السور:** قال ابن حزم: "هي من أعاجيب القرآن؛ لأن فيها مكيًّا ومدنيًّا وفيها حضريًّا وسفريًّا وفيها حربيًّا وفيها سلميًّا وفيها ليليًّا وفيها نهاريًّا. فأما المكي: فمن رأس الثلاثين آية إلى آخرها، وأما المدني منها فمن رأس خمس عشرة إلى رأس الثلاثين، وأما الليلي منها فمن أولها إلى رأس خمس آيات، وأما النهاري منها فمن رأس الخمس إلى رأس اثنتي عشرة، وأما الحضري فإلى رأس العشرين ونسب إلى المدينة لقربه منها"(٧).

–

(١) أخرجه أبو داود (١٢٠/٢، ١٢١) كتاب الصلاة، باب: كم سجدة في القرآن، الحديث (١٤٠٢)، والترمذي (٤٦/٢) كتاب السفر، باب: السجدة في الحج، الحديث (٥٧٥)، والدارقطني (٤٠٨/١) كتاب: الصلاة، باب: سجود القرآن، الحديث (٩)، والحاكم (٢٢١/١).

(٢) أخرجه أبو داود (١٢٠/٢) كتاب الصلاة، باب: كم سجدة في القرآن، الحديث (١٤٠١)، وابن ماجة (٣٣٥/١) باب: عدد سجود القرآن، الحديث (١٠٥٧)، والدارقطني (٤٠٨/١) كتاب الصلاة، باب: سجود القرآن، الحديث (٨)، والحاكم (٢٢٣/١). وقال: "هذا حديث رواته مصريون وقد احتج الشيخان بأكثرهم وليس في عدد سجود القرآن أتم منه".

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣٤١/٣)، رقم (٥٨٩٠).

(٤) أخرجه البيهقي (٣١٧/٢) كتاب الصلاة، باب: سجدتي الحج.

(٥) سورة الحج آية: ٣٩.

(٦) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ رقم (٣٥٤).

(٧) الناسخ والمنسوخ، ص (٤٦).

**عناية القرآن الكريم بتقرير العقيدة:**

كان وما زال صلب علوم الإسلام هو علم العقيدة والتوحيد، لأنه أساس العقيدة الإسلامية، وأنها هي أصل الدين، وهذه قاعدة راسخة منذ بعثة النبي عليه الصلاة والسلام، لا يشك فيها مسلم. وقد كانت عناية القرآن الكريم بالدعوة إلى الإيمان بالقضايا الثلاث – التوحيد، والنبوة، والرسالة، والإيمان بالبعث والجزاء– هي السمة الغالبة على القرآن المكي، حيث اشتمل أسلوبه على تقرير أصول الدين العامة، وإقامة الأدلة عليها(١). والمتأمل لآيات القرآن الكريم يرى أن الدعوة إلى توحيد الله – تعالى– لا تخلو منها سورة، بل لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة تصريحًا أو تلميحًا.

ومن هنا جاء تركيز القرآن الكريم في كثير من آياته على بيان وحدانية الله – تعالى– ونفي أي شريك له, ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا... ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا... ﴾(٣)، وغير ذلك من آيات.

ولهذا جاء القرآن الكريم بالتوحيد خالصًا من كل شبهة بعيدًا عن كل شائبة، وأقام البراهين على بطلان مايعبده المشركون، وخاطب العقل، واستنهض الفكر، ولفت الأنظار إلى ما في الكون من مخلوقات تدل على وحدانية الله، وأنه لا يشبه المخلوقات، غني عن جميع خلقه وجميع خلقه محتاجون إليه. وهذه العقيدة ربانية المصدر لا تتلقى إلا من الوحي الإلهي، ليس لأحد كائنًا من كان أن يغير أو يبدل فيها بالزيادة أو النقصان ثم جعلت الرسالة الإيمان الأخروي جزءًا لا يتجزأ من العقيدة، فبينت أن هناك دارًا أخرى يثاب فيها المثيب، ويعاقب فيها الفاجر على فجوره كما قال تعالى ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾(٤).

(١) ينظر: نبذة في العقيدة الإسلامية، د. محمد بن صالح العثيمين ص (٣٠).
(٢) سورة الأنعام آية: ١٥١.
(٣) سورة النساء آية: ٣٦.
(٤) سورة الأعراف الآيتان: ٨، ٩.

**المبحث الأول: مقاصد سورة الحج والتعريف بالبعث**

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: مقاصد سورة الحج.**

إن تَلَمُسَ مقاصد القرآن الكريم من خلال الوقوف على الآيات القرآنية التي تشير تصريحًا أو تلميحًا إلى مقاصد القرآن، أو الربط بين السورة السابقة والسورة اللاحقة لها، وهو ما يسمى بعلم المناسبة، سواءً المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة أو بين السورة والسورة الأخرى، التلمس أو البحث هنا يعين على فهم المراد أو المقصد، ودلالة القرآن الكريم واشتماله على المقاصد، فالقرآن الكريم ينطوي على أرقى المقاصد وأكبرها، وأعلى المصالح وأعظمها، فهو أصل الأصول ومصدر المصادر، وأساس المنقول والمعقول، وجميع المقاصد الشرعية المعتبرة والمعلومة والمقررة في الدراسات التفسيرية إنما هي راجعة في جملتها أو تفصيلها تصريحًا أو تضمينًا إلى هدي القرآن وتعاليمه وأسراره وتوجيهاته، فمن القرآن الكريم تستفاد مقاصد الشارع الحكيم من إرسال الرسل وتنزيل الكتب، وبيان العقيدة والأحكام، وتكليف المكلفين ومجازاتهم وبعث الخلائق والحياة، والكون والوجود، ومن بين سور القرآن سورة الحج، فقد اشتملت كغيرها على جملة من المقاصد الإلهيّة يمكن إبراز أهم ملامحها فيما يلي:

– تضمنت الآيات الأربع والعشرين الأولى من سورة الحج محوري الخلق والبعث، وتبدأ بإنذار الناس من الساعة والتحذير من الريب فيها، وتوكيد الساعة بما لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. والخطاب في هذه الآيات الأربع والعشرين عام إلى كل الناس، لاسيما وأن العرب في الجاهلية كانت لا تعرف أو لا تؤمن بالمعاد والبعث والنشور، والجزاء والحساب، ولذلك شدّد القرآن في سورة الحج وغيرها من السور على عقيدتين: نفي الشرك، وتوكيد المعاد والبعث.

– تضمنت آيات سورة الحج إقامة البرهان على إثبات التوحيد ونفي الشرك، وأن الله يبعث من في القبور، وأن المكابرة والجدال بالباطل هما أساس وقوع المشركين في الشرك وإنكار البعث.

– من المقاصد المهمة التي نوهت عليها سورة الحج أنها أكدت على أن دين الإسلام، للناس جميعًا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ

أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾(١).

– تتجلى مقاصد سورة الحج بأنها أقامت البراهين القطعية بشيء من التفصيل في الدلالة والثبوت على وجوب الاعتقاد بالبعث، ففصلت أطوار خلق الإنسان؛ لأنها جاءت في معرض الرد على منكري البعث، فاقتضت التفصيل في ذكر الأطوار كلها. قال الكرماني في "البرهان في متشابه القرآن": "وفصّل في الحج فقال: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ –إلى قوله–: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ﴾ فاقتضى الإجمال الحذف، والتفصيل الإثبات، فجاء في كل سورة بما اقتضاه الحال. والبلاغة الإيجاز والإطناب"(٢).

– أرشدت السورة في مقصد من مقاصدها أن جدال أهل الشرك إنما هو قائم على جهلهم، وأنهم لا علم عندهم، وإنما غايتهم في ذلك إضلال الناس وإبعادهم عن الصراط السوي، فأظهرت الدلائل والبراهين الواضحة على إثبات البعث من خلال أدلة لا تقبل الشك أو الظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً.

– في السورة تذكير بما منَّ الله عليهم من النعم في مشروعية الحج وما فيها من المنافع، ومع ذلك كفروا بنعمة الله، وذلك بذكر قصة إبراهيم عليه السلام وبعض مناسك الحج وشعائره التي أمر بها، لكي يستعد المؤمن نفسيًّا ويكون على ترقب للقبول بما سيكلف من هذه الشعيرة العظيمة، بدءا بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾(٣) وانتهاء بقوله جل شأنه: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٤).

– من مقاصد السورة أنها بينت مكابرة المشركين، كشأن الأمم السابقة الذين تلقوا دعوة الرسل بالإعراض والكفر، فحل بهم العذاب، وأنه يصيبهم بسبب ذلك ما أصابهم وفي هذا كله تسلية للنبي ﷺ والذين آمنوا معه، وبشارة لهم بالفوز في الدنيا والآخرة.

(١) سورة الحج آية: ٥.
(٢) البرهان في متشابه القرآن ص (١٦٢).
(٣) سورة الحج آية: ٢٦.
(٤) سورة الحج آية: ٣٧.

– من مقاصد السورة أنها بينت أن يوم القيامة هو يوم الفصل أن الله – عز وجل– يفصل الله بين عباده بالحق(١).

– أذن الله للمؤمنين قتال المشركين الذين يقاتلونهم في سبيله وضمن لهم التمكين في الأرض والظفر منهم، قال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾(٢).

وهذه هي أول آية نزلت في القتال،وأن فيه من المدافعة بين الحق والباطل، يقول عز وجل فيها: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾(٣).

– من مقاصد هذه السورة أنها خُتمت بتذكير الناس بنعم الله عليهم، وأن الله اصطفى خلقاً من الملائكة، وأن الله هو مولاهم وناصرهم(٤).

تلك هي أهم مقاصد السورة، والتي نجد أنها ارتكزت على إصلاح العقيدة، وتثبيت أركان الإيمان، وتهذيب الأخلاق والتشريع، ومن جماع كل هذا نجد أنها أعظم سبب لإصلاح الخلق.

**المطلب الثاني: التعريف بالبعث في اللغة والاصطلاح، والألفاظ ذات الصلة**

**تعريف البعث:**

**البعث في اللغة:** البعث في اللغة له معان متعددة؛ فقد يراد به إثارة الشيء عن محله وتحريكه بعد سكون، ومنه: بعث فلان الناقة: إذا أثارها من مبركها للسير. وقد يراد به الإيقاظ، ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ ﴾ (٥)

أي: أيقظناهم، وقد يراد به معنى الإحياء، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾(٦) والبعث: الإحياء من الله تعالى للموتى(٧)، قال الراغب الأصفهاني: «أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بعثته فانبعث، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما تعلق به، فبعثت البعير أثرته وسيرته، وقوله عز وجل: ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾(٨)، أي: يخرجهم ويسيرهم إلى القيامة»(٩). وقال ابن منظور: "البعث مشتق من بعث يبعثه بعثًا، أي: أرسل, والبعث

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥/٣٠)، تفسير البغوي (٤٠٥/٤)، تفسير ابن كثير (١٧٠/٨).
(٢) سورة الحج آية: ٣٩.
(٣) سورة الحج آية: ٤٠.
(٤) التحرير والتنوير (١٨٣/١٧-١٨٥).
(٥ ) سورة الكهف،الآية ١٢
(٦) سورة الحج، الآية: ٧.
(٧) ينظر: لسان العرب (١١٦/٢) مادة (بعث).
(٨) سورة الأنعام، الآية: ٣٦.
(٩)المفردات في غريب القرآن، ص (٥٢، ٥٣)، مادة (بعث).

إثارة بارك أو قاعد, تقول: بعثت البعير فانبعث، أي: أثرته فثار, والبعث – أيضًا – الإحياء من الله للموتى, ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾[1] أي: أحييناكم, وبعث الموتى: نشرهم ليوم البعث"[2].

وقال الفيروزآبادي: "قد ورد البعث في القرآن على ثمانية معانٍ:

**الأوّل:** بمعنى الإلهام: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ ﴾[3] أي: ألهم.

**الثاني:** بمعنى إحياء الموتى في الدنيا: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾، ﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾[4]،﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ﴾[5] أي: أحييناهم.

**الثالث:** بمعنى الاستيقاظ من النوم: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ ﴾[6] أي: من النوم، ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ ﴾[7].

**الرابع:** بمعنى التسليط ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا ﴾[8].

**الخامس:** بمعنى نصب القيّم والحاكم: ﴿ فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾[9].

**السّادس:** بمعنى التعيين: ﴿ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا ﴾[10] أي: عين وبيّن، ﴿ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾[11] أي: قد عيّن وبيّن.

**السابع:** بمعنى الإخراج من القبور للحشر: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾، وهذا هو المعنى المراد في البحث.

**الثامن:** بمعنى الإرسال: ﴿ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ ﴾[12]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً ﴾[13] أي: أرسل[14].

---

(١) سورة البقرة آية: ٥٦.

(٢) ينظر: أساس البلاغة، ص (٩٩٨)، لسان العرب (٣٠٧/١)، المعجم الوجيز، ص (٥٦)، مختار الصحاح، ص (٥٧)، القاموس القويم للقرآن الكريم (٧٤/١).

(٣) سورة المائدة آية: ٣١.

(٤) سورة البقرة آية: ٢٥٩.

(٥) سورة الكهف آية: ١٩.

(٦) سورة الأنعام آية: ٦٠.

(٧) سورة الكهف آية: ١٢.

(٨) سورة الإسراء آية: ٥.

(٩) سورة النساء آية: ٣٥.

(١٠) سورة البقرة آية: ٢٤٦.

(١١) سورة البقرة آية: ٢٤٧.

(١٢) سورة الكهف آية: ١٩.

(١٣) سورة الجمعة آية: ٢.

(١٤) ينظر: بصائر ذوي التمييز (٢١٤/٢-٢١٥).

ومن جماع ما تقدم يتضح أن معنى البعث في اللغة يدور حول معان متعددة، ومنها: إحياء الله للموتى, وإخراجهم من قبورهم, ونشرهم ليوم الحساب، وهو المعنى المراد هنا.

– **تعريف البعث اصطلاحًا:** إذا نظرنا إلى تعريف أهل العلم للبعث وجدنا أنهم لا يختلفون في تعريفه، وإن اختلفت عباراتهم في ذلك، فعرفوه على النحو التالي:

أنه: "عبارة عن إحياء الله تعالى الموتى، وإخراجهم من قبورهم بعد جمع أجزائهم الأصلية وإعادة الروح إليها"(١). وعرفه الرازي فقال: "البعث عبارة عن جمع الأجزاء بعد تفريقها"(٢)، وعرفه ابن كثير فقال: "هو المَعادُ وقيامُ الأرواحِ والأجسادِ يَومَ القيامةِ"(٣)، وعرفه السَّفارينيُّ: "البَعثُ – هو – المعاد الجسماني"(٤).

ويتضح من خلال التعاريف السابقة أن للبعث معنيين:

– جمع الأجزاء الأصلية من الأجسام إلى ما كانت عليه قبل موتها بقدرة الحي الذي لا يموت.

– عودة الأرواح في هذه الأجسام مثلما كانت عليه في الدنيا.

– **الألفاظ ذات الصلة:**

هناك ألفاظ ذات مفاهيم قريبة الصلة من مفهوم البعث، حين يذكر البعث ويذكر معه ذاك المفهوم القريب الصلة بمفهوم البعث، ومن ذلك:

**أولًا: النشور:**

– **تعريف النشور لغة:** النشور مأخوذة من نشر الميتُ ينَشرُ نُشورًا إذا عاش بعد الموت وأنشره الله أي أحياه(٥)؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾(٦) أي: المبعث والمرجع إليه تعالى. يقال: أنشر الله الموتى فنشروا. قال الشاعر:

**حتى يقولَ الناسُ ممَّا رَأَوا يا عجبًا للميتِ الناشِرِ**(٧)

ويقال: نشر الله الميت، أيضًا من نشر الثوب(٨).

---

(١) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، محمد أبو حامد الغزالي الطوسي، ص (١٠٤)، الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية، حسن بن محمد الجسر الطرابلسي، ص (١٠٩)، في العقيدة الإسلامية والأخلاق، د/عوض الله حجازي وآخرين، ص (٨٠).

(٢) المحصل، للرازي، ص (٥٥٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٣٩٥/٥).

(٤) ينظر: لوامع الأنوار البهية (١٥٧/٢).

(٥) ينظر: معجم ديوان الأدب (١١٢/٢)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٨٢٨/٢)، شمس العلوم (٦٦٠١/١٠)، لسان العرب (٢٠٦/٥)، تاج العروس (٢١٥/١٤).

(٦) سورة الملك آية: ١٥.

(٧) البيت للأعشى في ديوانه، ص (١٩١)، ولسان العرب (٢٠٦/٥) (نشر)، وتهذيب اللغة (٣٣٨/١١، ومقاييس اللغة (٤٣٠/٥)، وتاج العروس (٢١٥/١٤) (نشر)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة، ص (٧٣٤)، والمخصص (٩٢/٩).

(٨) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (٤٢/٨)، أساس البلاغة (٢٧٠/٢).

وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[١] أي: مثل ذلك إحياء الموتى وبعثهم. قوله: ﴿ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ﴾[٢] من ذلك، أي كيف نحييها ونبعثها؟[٣] قال الفيروزآبادي:" إنه مرادف البعث في المعنى، يقال: نشر الميت ينشر نشورًا، أي عاش بعد الموت"[٤].

**تعريف النشور اصطلاحًا:** عرفه المناوي مرادفًا بين البعث والنشور في الاصطلاح فقال: "هو إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع ويختص بهذا ربُ العزة في يوم البعث والنشور"[٥]. وقال السفاريني رحمه الله تعالى: "وأما النشور فهو يرادف البعث في المعنى، يقال: نشر الميت ينشر نشورا: إذا عاش بعد الموت، وأنشره الله، أي: أحياه، ومنه قولهم: يوم البعث والنشور"[٦]. قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾[٧]، "أي: بعثه بعد موته، ومنه يقال: البعث والنشور"[٨].

وفرق بين البعث والنشور أبو هلال العسكري كتابه الفروق وبين أن بعث الخلق اسم لإخراجهم من قبورهم إلى الموقف، ومنه قوله تعالى: ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا ﴾[٩].

والنشور: اسم لظهور المبعوثين وظهور أعمالهم للخلائق، ومنه قولك: نشرت اسمك ونشرت فضيلة فلان، إلا أنه قيل: أنشر الله الموتى بالألف ونشرت الفضيلة والثوب؛ للفرق بين المعنيين[١٠].

**ثانيًا: الحشر:**

**الحشر في اللغة:** الجمع، يقال: حشرت مالي أحشره حشرًا أي: جمعته[١١]، قال الرازي في المختار: "حشر الناس: جمعهم، من باب ضرب ونصر، ومنه يوم الحشر، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾[١٢]، أي: جامعين يجمعون السحرة، وهم الشرط"[١٣]، ويأتي الحشر مع السوق، وكل جمع حشر، وأصل مادة

(١) سورة فاطر آية: ٩.
(٢) سورة البقرة آية: ٢٥٩.
(٣) عمدة الحفاظ (١٧٧/٤).
(٤)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥٤/٥).
(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، ص (٨٠).
(٦) لوامع الأنوار البهية (١٥٨/٢).
(٧) سورة عبس آية: ٢٢.
(٨) تفسير ابن كثير (٣٢٣/٨).
(٩) سورة يس آية: ٥٢.
(١٠) الفروق اللغوية، للعسكري، ص (٢٨٩).
(١١) ينظر: العين (٩٢/٣)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦٣٠/٢)، مجمل اللغة، ص (٢٣٦)، مقاييس اللغة (٦٦/٢)، المحكم والمحيط الأعظم (١٠٣/٣)، أساس البلاغة (١٩١/١)، لسان العرب (١٩١/٤).
(١٢) سورة الأعراف آية: ١١١.
(١٣) مختار الصحاح، ص (١٣٧).

(ح ش ر) تدل على السوق والبعث والانبعاث[١]، قال الأزهري في تهذيب اللغة، نقلًا عن الليث بن المظفر: "الحشر: حشر يوم القيامة، والمحشر: المجمع الذي يحشر إليه القوم"[٢]. ثم ذكر أن من معانيه وروده بمعنى الجمع الذي يحشر إليه القوم.

وقد ورد الحشر في القرآن على وجهين:

**الأول:** الجمع ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾[٣] أي: جُمعت ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ ﴾[٤] أي: جمعناهم.

**والثاني:** بمعنى السَّوْق والطَّرد ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾[٥]، ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾[٦]. والحشر بهذا المعنى يختلف لمعانٍ:

– حَشْر الطُّيور لداود وطيب ألحانه ﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾[٧].

– وحَشْر الجنّ وغيره لسليمان عليه السّلام ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ ﴾[٨]. وحشر السحرة لفرعون وهامان ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾[٩] وحَشْر الخلائق للملك الديان ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[١٠]، ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾[١١].

– وحَشْر لأهل الظُّلم والعدوان لعقوبتهم بالنِّيران ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾[١٢].

– وحشر للمتَّقين إلى نعيم الجِنان والرضوان ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾[١٣].

وقال الكفوي: "«حُشِرَ»: جمع، وإذا استعمل بـ(إلى) يشعر بالاضطرار والسوق"[١٤].

---

(١) ينظر: مجمل اللغة، ص (٢٣٦)، مقاييس اللغة (٦٦/٢)، المحكم والمحيط الأعظم (١٠٣/٣)، أساس البلاغة (١٩١/١)، لسان العرب (١٩١/٤).
(٢) تهذيب اللغة (١٠٥/٤).
(٣) سورة التكوير آية: ٥.
(٤) سورة الكهف آية: ٤٧.
(٥) سورة الإسراء آية: ٩٧.
(٦) سورة طه آية: ١٠٢.
(٧) سورة ص آية: ١٩.
(٨) سورة النمل آية: ١٧.
(٩) سورة الشعراء آية: ٥٣.
(١٠) سورة المائدة آية: ٩٦.
(١١) سورة الأنعام آية: ٢٢.
(١٢) سورة الصافات آية: ٢٢.
(١٣) سورة مريم آية: ٨٥، وينظر: بصائر ذوي التمييز (٤٦٨/٢-٤٦٩).
(١٤) الكليات، ص (٤١٢).

**تعريف الحشر اصطلاحًا:**

عرفه الأصفهاني: بأنه: "إخراج الجماعة عن مقرهم، وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها"(١). وعرفه القرطبي في التذكرة: بأنه الجمع(٢). وعرفه أبو هلال العسكري بأنه: "هو الجمع مع السوق.

والشاهد قوله تعالى: ﴿ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ أي: ابعث من يجمع السحرة ويسوقهم إليك. ومنه يوم الحشر؛ لأن الخلق يجمعون فيه ويساقون إلى الموقف"(٣).

وعرفه السفاريني بأنه: "جمع أجزاء الإنسان بعد التفرقة ثم إحياء الأبدان بعد موتها"(٤).

ويفرق بين الحشر والبعث، بأن البعث: هو إخراج الناس من القبور إلى الموقف، والمراد بالنشور ظهور المبعوثين وظهور أعمالهم للمخلوقات، النشور هو اسم لظهور المبعوثين وظهور أعمالهم للخلائق، والحشر يأتي بمعنى البعث، وبمعنى الجمع والسوق، على ما تقدم في التعريف اللغوي.

ويرى البعض أن البعث غير الحشر، وقالوا: العُري – الوارد في حديث عَائِشَةَ، قَالَتْ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: عُرَاةً حُفَاةً،..."(٥)–، يكون في الحشر، والثياب تكون على الناس عند البعث، والقيام من قبورهم، فقالوا: يبعثون في ثيابهم ويحشرون عراة، فإذن يعيد الله الثياب التي كانوا عليها؛ لأن الثياب هذه تبلى التي كانت على الجسد، فيعيدها الله ويبعثون بها، ثم تطير عنهم، ويبقون عراة فيحشرون، هذا وجه من وجوه التوفيق بين النصوص، لكن يشكل عليه أنه في أثر معاذ: "فإنهم يحشرون فيها"(٦).

قال الحافظ ابن حجر: "ويجمع بينهما بأن بعضهم يحشر عاريًا وبعضهم كاسيًا –هذه طريقة أخرى للجمع– أو يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الأنبياء، فأول من يكسى إبراهيم عليه السلام، أو يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها، ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر، فيحشرون عراة ثم يكون أول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام"(٧)، وبعده من شاء الله من الخلائق.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، ص (٢٣٧).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص (٥١٥).

(٣) الفروق اللغوية، للعسكري، ص (١٤٤).

(٤) لوامع الأنوار البهية (١٥٨/٢).

(٥) أخرجه البخاري (٤٤٥/٦) كتاب الأنبياء، باب: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴾ (٣٣٤٩)، ومسلم (٢١٩٤/٤، ٢١٩٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: فناء الدنيا (٥٨– ٢٨٦٠).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٦٨/٢) برقم (١١١٣٢)، وابن أبي الدنيا في الأهوال، ص (١٨١) برقم (٢٢٤)، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (٣٨٣/١١).

(٧) فتح الباري (٣٨٣/١١).

**المبحث الثاني: تقرير عقيدة البعث والجزاء**

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: عناية القرآن في البعث وتقريره**

من أهم القضايا التي أبرزها القرآن الكريم ودعا إليها وأكد على حتميتها قضية البعث والجزاء, فلا نكاد نجد موضعا تعرض فيه القرآن للحديث عن الحياة الدنيا إلا وقرنه بالحديث عن الدار الآخرة, وذلك حتى تكتمل في ذهن كل الناس دورة حياته كلها بدءًا ونهاية؛ ولقد صرح القرآن الكريم بالحديث عن البعث والجزاء تصريحًا واضحًا من خلال حديثه عن الدار الآخرة وما فيها من ثواب للمؤمنين وعقاب للكافرين، وكثيرًا ما نرى القرآن الكريم يعرض لذلك في هيئة صور ومشاهد كأنها صورة حاضرة يراها الإنسان رأي العين, بل إن نفسه تشعر بالشوق واللهفة كلما وقف على آيه تبشر بالجنة وتشعر بالخوف كلما مر بآية تنذر بنار جهنم.

والقارئ المتأمل للقرآن الكريم يجد أنه لا تكاد تخلو سورة من سوره – وخاصة المكية – من التنويه بالبعث وتأكيد وقوعه ووجوب الإيمان به وذكر ما يكون فيه من حساب وجزاء؛ وقد توالت الآيات القرآنية لبيان موقف الكفار والمشركين من إنكار البعث الذي هو من أهم أركان العقيدة الإسلامية، ولا يصح إيمان المؤمن إلا إذا آمن بالبعث ويوم الحساب؛ ولذلك ركز القرآن الكريم على إثبات أسس العقيدة الإسلامية: وهي إثبات الوحدانية، والنبوة والرسالة، والبعث والجزاء، وقد كشف القرآن الكريم أباطيل ومزاعم منكري البعث والجزاء حيث إنهم يصادمون العقل والواقع والحقيقة، فلا يستندون إلى دليل معقول ولا حجة واضحة, بل يعتمدون على شبهات لا يستطيعون البرهنة عنها في العلم، فهي شبهات واهية، وإنما يعود إنكارهم إلى تمسكهم بالدنيا وملذاتها، واتباعهم لأهوائهم وكأن الدنيا عندهم هي نهاية المطاف.

ومن السور التي عنيت عناية فائقة بالحديث عن يوم القيامة وما فيه من بعث وجزاء وجنة ونار, وأكدت على وقوعه, وردت على المنكرين وأبطلت معتقداتهم سورة الحج، فقد أبانت عن أدلة قطعية الثبوت والدلالة على وجوب الإيمان بالبعث، وأنه يتوافق مع الأدلة العقلية.

**المطلب الثاني: شبه المنكرين للبعث ورد القرآن عليها**

على مر الأعصر والأدهر والأزمان، وفي كل صوب ومكان؛ كانت قضية البعث والجزاء هاجسًا وخاطرًا شغل الإنسان واستحوذ على عقله وأرق قلبه، فكان ميداناً فسيحًا ومراحًا واسعًا لصراع الأفكار والمعتقدات وتأملات الأنفس والقلوب، وهو صراع لم يفز بالسلامة فيه إلا من هُدِي إلى الهدَى والحق المبين، بعد أن أسلم قياد العقل والقلب لله

– تعالى – عبر رسالات رسله وأنبيائه، وأصغى بمجامع النفس والضمير إلى نداء الحقيقة التي أودعها سبحانه في عباده أنه – سبحانه – رب العالمين، وأنه جامع الناس ليوم لا ريب فيه.

إلا أن هذا المعترك الذي خاضه عقل الإنسان تمخض عن صنف آخر من الناس كانوا هم الهالكين والضالين الذين أنكروا البعث وجحدوا الجزاء، إذ عموا وصمّوا عن الحكمة الكامنة في الخلق والوجود، تلك الحكمة التي لا تحقق لها إلا بحقيقة البعث والجزاء.

إن إنكار البعث لم يكن قاصرًا على العرب وحدهم، وإنما كان موجودًا في الأمم السالفة التي كذبت رسلها، فكان عدم إيمانهم بالبعث من أهم الأسباب التي دعتهم إلى تكذيب الرسل – عليهم السلام–، حيث كان الرسل يذكرون أقوامهم بالبعث والجزاء، منذ عهد نوح – عليه السلام– فيما يحكيه عنه القرآن الكريم؛ إذ قال لقومه: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾(١)، وما حكاه القرآن الكريم عن شعيب –عليه السلام– في قول الله – تعالى–: ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾(٢).

وأيضًا ما جاء على لسان عيسى – عليه السلام– في قول الله –تعالى–: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾(٣)، وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام.

ولقد قص القرآن الكريم على العرب قصص هؤلاء المنكرين وأشار إلى ما حل بهم من سوء الجزاء ليكون للعرب – ولغيرهم من منكري البعث والجزاء– عبرة من الأمم السابقة.

وبالنظر في شبه المنكرين للبعث قديمًا وحديثًا نجدها– على كثرتها– لا تخرج عن واحدة من ثلاث:

– إما أن تكون اتهاما لقدرة الله –تعالى– على البعث وإعادة الأجسام إلى ما كانت عليه في الدنيا بعد تحللها وفنائها.

– وإما أن تكون اتهامًا لعلمه –تعالى– بالأجزاء التي تحللت وضلت في الأرض لاسيما إذا أكلتها سباع البر أو حيتان البحر.

(١) سورة الأعراف آية: ٥٩.
(٢) سورة العنكبوت آية: ٣٦.
(٣) سورة مريم آية: ٣٣.

– وإما أن تكون اتهامًا لحكمته – تعالى– في البعث واعتقاد أنه لا فائدة فيه فلا داعي له.

وهي الشبه التي أجمل الحديث عنها ابن القيم رحمة الله – بحصرها في هذه الشبه الثلاث، بقوله:

**أحدها:** أن اختلاط أجزائهم بأجزاء الأرض يذهب معه الصورة والصفات على وجه لا يتميز ولا يحصل معه تميز شخص عن شخص.

**الثاني:** توهمهم أن القدرة الإلهية لا تتعلق بذلك.

**الثالث:** توهمهم أن البعث أمر لا فائدة فيه، أو أن الحكمة اقتضت دوام هذا النوع الإنساني شيئًا بعد شيء، هكذا أبدًا، كلما مات جيل خلفه جيل آخر. فأما أن يميت النوع الإنساني كله ثم يحييه بعد ذلك فلا حكمة في ذلك(١).

وما أجمله ابن القيم من شبهات منكري البعث هو ما استخلصه بعقله الثاقب وفهمه النافذ من القرآن الكريم، وهي الشبهات التي لا تخرج من أنها تدور حول عدة أمور؛ من أبرزها:

إنكار الخالق الحكيم، والإيمان بالدهر ونسبة الإحياء والإماتة إليه, وإنكار البعث فهؤلاء إذن دهرية في عقيدتهم أصلًا، وارتباط عقيدتهم تلك بتكذيبهم بالبعث هو مما أثبته القرآن الكريم، مبينًا قولهم: ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾(٢).

ومن ينكر البعث والحشر إنما يرجع إلى أسباب؛ حاصلها:

أ– استبعاد جمع الأجساد بعد تفرقها واختلاطها بالأرض واستحالتها إلى عناصر أخرى وانعدام الهيئة التركيبية التي كان عليها الإنسان أو قل: انهدامها.

ب– استبعاد إعادة الحياة إلى المادة الميتة والعظام الرميم.

ج– طلب إحياء الموتى من الآباء والأجداد وإرجاعهم إلى الحياة الدنيا مرة ثانية حتى يتأكد لديهم صحة البعث وإثبات صدق الرسل في الإخبار عن الله بالبعث.

د– الاستناد إلى مجرد تقليد الآباء في إنكار البعث, قال تعالى على لسان منكري البعث ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾(٣).

(١) الفوائد، لابن القيم، ص (٦).

(٢) سورة المؤمنون آية: ٣٧، وعقيدة الإيمان بالبعث، د: إسماعيل منصور، ص (٥٧).

(٣) سورة النمل الآيتان: ٦٧– ٦٨.

وحاصل هذه شبهة الكافرين بالبعث بأن آباءهم قد وعدوا بالبعث على لسان الرسل السابقين، وقد كفروا به وكذبوا الرسل في الإخبار به ولم يأتهم ما وعدوا به، وعدم تحقيق ما وعد به الآباء من البعث في الأزمنة الغابرة دليل على أن ذلك الوعد من الأكاذيب المفتراة التي وردت على لسان السابقين من الرسل والدعاة(١).

وفي أدنى ما يمكن أن يفسر به منشأ إنكار البعث متبلورًا في هذه الشبهات، لهو انحراف الفطرة الذي يعود في أصله إلى الجهل بالله وقدرته وعلمه وحكمته وتكذيب رسله، وتحكيم العقل في أمور الغيب، وتكون نتيجة ذلك أن هؤلاء المكذبين بيوم الدين يتصفون بالظلم والاعتداء وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ ﴾(٢).

كذلك يتصفون بالفجور، كما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴾(٣).

ولقد اهتم القرآن الكريم بعرض الشبه التي أوردها منكرو البعث، وبين أنها شبه واهية، ووصفها بالظن والزعم والحسبان، قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾(٦).

وهذا هو الإطار الذي وضع فيه القرآن الكريم شبه منكري البعث(٧).

ومن لطائف الاستدلال القرآني في مناقشة منكري البعث أن الله سبحانه وضع – على طريقة الاستقصاء جميع أوهام المنكرين ثم ردها واحدة فواحدة بالحجة الدامغة, إبطالًا لها وإثباتًا للحق(٨). وفي مقابل هذه الشبه الثلاث فقد بنى الخطاب القرآني براهينه وحججه الدامغة في إثبات حقيقة البعث على أصول ثلاثة:

**أحدها:** تقرير كمال علم الرب سبحانه وتعالى،كما قال – عز وجل – عن نفسه: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٩).

(١) ينظر: الإنسان كما يصوره القرآن الكريم بدءاً ونهاية، ص (٥٧١ –٥٧٢).
(٢) سورة المطففين الآيات: ١٠–١٢.
(٣) سورة القيامة آية: ٥.
(٤) سورة ص من الآية: ٢٧.
(٥) سورة التغابن من الآية: ٧.
(٦) سورة القيامة الآية: ٣.
(٧) ينظر: دراسات في الفكر العقدي والأخلاقي، د/صلاح عبد العليم، ص (٢٠٨).
(٨) العقيدة الإسلامية، حسن حبنكة، ص (٦٦٨).
(٩) سورة الحديد آية: ٤.

**وثانيها:** تقرير كمال قدرته وعلمه معًا كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[1] فالأبحر لو تحولت إلى مداد، والأشجار إلى أقلام لما فنيت عجائب صنع الله ومخلوقاته، ولما ذكر أن ملكوته كبير أشار إلى ما يحقق ذلك فقال: ﴿ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] أي كامل القدرة فيكون له مقدورات لا نهاية لها وإلا لانتهت القدرة إلى حيث لا تصلح للإيجاد وهو حكيم كامل العلم ففي علمه ما لا نهاية له فتحقق أن البحر لو كان مدادًا لما نفد ما في علمه وقدرته. ثم لما بين كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر وقال: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ومن لا نفاد لكلماته يقول للموتى كونوا فيكونوا. ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ سميع لما يقولون بصير بما يعملون فإذًا كونه قادرًا على البعث ومحيطًا بالأقوال والأفعال يوجب ذلك الاجتناب التام والاحتراز الكامل[3].

**وثالثها:** كمال حكمته، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾[4].

وقد يجمع بين أمرين في دليل واحد كما جمع بين كمال العلم وكمال القدرة في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[5].

وهنا يسبتين من تأمل إحكام الحجة القرآنية لمنكري البعث أن شبهات المنكرين لما كانت تعتمد على إنكار القدرة والعلم والحكمة الإلهية أو الجهل بها، فقد قامت أدلة وبراهين إثبات البعث على إثبات كمال هذه الصفات لله تعالى، في برهان منير يزول به الشك ويرتفع اللبس، فذكر القرآن الكريم هذه الشبهات وفندها، فبين أن الله على كل شيء قدير، ودلائل قدرته ماثلة في مخلوقاته المنظورة، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. وإحياء الموتى أمر يسير على الله ﷻ، فالإعادة أهون من الخلق الأول بالنسبة لله ﷻ.

---

(١) سورة لقمان الآيتان: ٢٧- ٢٨.

(٢) سورة الأنفال آية: ٦٣.

(٣) ينظر: تفسير الرازي (١٢٩/٢٥).

(٤) سورة الروم آية: ٨.

(٥) سورة يس آية: ٨١، وينظر: الفوائد، لابن القيم، ص (٧).

وكذلك اعتنى القرآن الكريم بتعداد آيات الله تعالى في الكون المنظور، ليبن للإنسان أنه لا إله إلا هو سبحانه، فلا خالق غيره، ولا موجد سواه، وأن جميع الخلق إليه راجعون بلا ريب ولا شبهة في بعثهم ونشورهم وحسابهم وجزائهم بين يديه. فدعا المنكرين – على اختلاف صنوفهم وضروبهم إلى النظر في السماء وما فيها والأرض وما عليها، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[1] أفلم ينظر هؤلاء المنكرون إلى هذه السماء كيف رفعها الله بغير عمد مع اتساعها؟ بل ألم ينظروا إلى ما خلق الله فيها من مخلوقات وسخرها للإنسان؟ فالنجوم جعلها؛ لزينة السماء وجعلها، ليهتدي بها أهل البر والبحر في سفرهم، والقمر جعله للإضاءة، والشمس سراجًا. ألم ينظروا إلى هذه الأرض كيف مهدها الله، وجعلها مهادًا للإنسان وسلك لهم فيها سبلًا؟! ألم ينظروا إليها كيف مدت؟ وكيف خلق الله فيها الجبال؟ وجعل فيها منافع للإنسان فجعلها للأرض أوتادًا؟! وجعل فيها من النعم والخيرات ما لا يعلمه إلا الله؟ ألم ينظروا إلى ما يخرج من هذه الأرض من النبات مختلفاً أكله متعددًا أنواعه؟!

ألم ينظروا إلى هذا الماء النازل من السماء كيف صعد إلى السماء؟ وكيف نزل إلى الأرض؟!

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2].

ألم ينظروا إلى هذا النبات من الذي أخرجه من باطن الأرض على اختلاف أشكاله وألوانه، وفلق حبه ونواه؟ ألم ينظروا إلى هذا النبات المتعدد الأنواع والألوان والأشكال والروائح؟ فهذا نبات حلو، وهذا نبات مر، وهذا نبات حار، وهذا نبات أبيض، وهذا نبات أخضر، وهذه ثمار خضراء، وهذه حمراء، وهذه ثمار سوداء، مع أن الأرض واحدة، والماء الذي سقي به ماء واحد؟! والزارع الذي غرس البذرة في الأرض واحد؟! فمن الذي أودع في ذلك النبات الحلاوة ومن الذي أودع في ذلك النبات المرارة؟!..... إنه الله رب العالمين.

ألم ينظروا إلى هذه الأرض الميتة الهامدة بلا تحرك. من الذي أحياها؟ وجعلها تهتز باهتزاز النبات عليها أو بنزول الماء عليها، وسلوكه في فجاجها؟ إنه الله رب

(١) سورة ق آية: ٦.
(٢) سورة الواقعة الآيتان: ٦٨، ٦٩.

العالمين فالقرآن الكريم ساق هذه الأدلة الحجاجية وختمها بالتوكيد الجازم على حقيقة البعث؛ أنه ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ أي: كما أحيا الله هذه الأرض الميتة، وأخرج منها الزروع والثمار التي تشاهدونها بأبصاركم بقدرته. كذلك تخرجون من باطنها فهذا خلق شبيه بخلق.

والحق الذي لا مراء فيه أن أمر البعث ليس مسألة عقلية أو إشكالية فكرية، وإنما هو مسألة إيمانية داخلة في صميم العقيدة، ذلك أن البعث أخبر به الله تعالى في كتابه الكريم، وأخبر به الرسول ﷺ وحيث ثبت صدقه في دعوته، وكان هذا البعث مما أخبر به، فقد وجب الإيمان به.

وكذلك مما يقطع بإثبات البعث والرد على منكريه أن الإعادة مماثلة للنشأة الأولى، ولو قدرناها مثلا لها، لقضى العقل بتجويزها، فإن ما جاز وجوده جاز مثله، إذ من حكم المثلين أن يتساويا في الواجب والجائز[1].

وإذا كان الله تعالى قادرًا على خلق البدن وإنشائه من العدم، فأولى أن يكون تعالى قادرًا على إحيائه، وإعادته بعد فنائه، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، قال تعالى: ﴿ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ﴾[3].

قال الرازي عند قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾[4] "والمعنى: أنه لما أقام الدلائل على أن الإعادة في نفسها ممكنة وأنه سبحانه وتعالى قادر على كل الممكنات وجب القطع بكونه قادرا على الإعادة في نفسها، وإذا ثبت الإمكان والصادق أخبر عن وقوعه فلا بد من القطع بوقوعه، واعلم أن تحرير هذه الدلالة على الوجه النظري أن يقال: الإعادة في نفسها ممكنة والصادق أخبر عن وقوعها فلا بد من القطع بوقوعها، أما بيان الإمكان فالدليل عليه أن هذه الأجسام بعد تفرقها قابلة لتلك الصفات التي كانت قائمة بها حال كونها حية عاقلة والبارئ سبحانه عالم بكل المعلومات قادر على كل المقدورات الممكنة وذلك يقتضي

(١) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص (٣٧٢).
(٢) سورة يس الآيتان: ٧٨، ٧٩. ينظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، الأشعري، ص (٢٢- ٢٤)، وأصول الدين، للبغدادي، ص (٢٣٠ – ٢٣٤)، والمغني، للقاضي عبد الجبار (١١/٤٥١ – ٤٦٧).
(٣) سورة فصلت، آية ٣٩.
(٤) سورة الحج آية: ٧.

القطع بإمكان الإعادة لما قلنا إن تلك الأجسام بعد تفرقها قابلة لتلك الصفات لأنها لو لم تكن قابلة لها في وقت لما كانت قابلة لها في شيء من الأوقات، لأن الأمور الذاتية لا تزول، ولو لم تكن قابلة لها في شيء من الأوقات لما كانت حية عاقلة في شيء من الأوقات، لكنها كانت حية عاقلة فوجب أن تكون قابلة أبدا لهذه الصفات. وأما أن البارئ سبحانه يمكنه تحصيل ذلك الممكن فلأنه سبحانه عالم بكل المعلومات فيكون عالما بأجزاء كل واحد من المكلفين على التعيين وقادرا على كل الممكنات، فيكون قادرا على إيجاد تلك الصفات في تلك الذوات. فثبت أن الإعادة في نفسها ممكنة وأنه سبحانه يمكنه تحصيل ذلك الممكن. فثبت أن الإعادة ممكنة في نفسها. فإذا أخبر الصادق عن وقوعها فلا بد من القطع بوقوعها، فهذا هو الكلام في تقرير هذا الأصل، فإن قيل: فأي منفعة لذكر مراتب خلقة الحيوانات وخلقة النبات في هذه الدلالة؟ قلنا: إنها تدل على أنه سبحانه قادر على كل الممكنات وعالم بكل المعلومات، ومتى صح ذلك فقد صح كون الإعادة ممكنة فإن الخصم لا ينكر المعاد إلا بناء على إنكار أحد هذين الأصلين، ولذلك فإن الله تعالى حيث أقام الدلالة على البعث في كتابه ذكر معه كونه قادرا عالما كقوله: ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾[1]، فقوله: ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ ﴾ بيان للقدرة وقوله: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾ بيان للعلم والله أعلم"[2].

وهكذا؛ فبهذا التعاضد بين البيان القرآني وما انطوى عليه في آياته من قوة حجة وأدلة وبراهين، وبين شبهات منكري البعث، وفُندت بأقطع الأدلة وأنصع البراهين.

(١) سورة يس آية: ٧٩.
(٢) تفسير الرازي (٢٠٥/٢٣، ٢٠٦).

**المبحث الثالث: الإيمان بالبعث وأهميته في حياة الإنسان**

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: ضرورة الإيمان بالبعث وأهميته كما أوضحته سورة الحج**

إن المؤمن بالله تعالى يعلم أن البعث ضرورة لا بد منها؛ لأن البعث هو الجانب الذي يحقق حكمة الخلق ومعنى الوجود ويعطي الحياة مفهومها، لذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن جعل وراء هذه الحياة الدنيا حياة ثانية بعد فناء الحياة الأولى يرى فيها الإنسان جزاء عمله إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر وذلك للمجازاة على الأعمال التي عملها في حياته قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[1].

ومن المعلوم أن هناك تفاوتًا بين الناس في الآجال والأرزاق والأعمال والسعادة والشقاء، فمنهم الظالم ومنهم المظلوم، ومنهم المحسن ومنهم المسيء، فلو أنهم لا يبعثون بعد موتهم ويحاسبون على ما قدمت أيديهم لكان ذلك عبثًا، وهو ما نزه الله تعالى نفسه عنه، فقال تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[2]، فكان اليوم الآخر والبعث والجزاء.

قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[3].

فالإيمان بالبعث ركن من أركان الإيمان، والقرآن الكريم والسنة النبوية مليئان بالآيات الدالة عليه وعلى وقوعه ووجوب الإيمان به،وأجمع عليه المسلمون، وقامت عليه الأدلة والبراهين [4].

وقد ربط القرآن الكريم بين الإيمان بالبعث وعاقبة الوقوع في المنهيات كما قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ ﴾[5].

(١) سورة آل عمران آية: ١٨٥.
(٢) سورة المؤمنون آية: ١١٥.
(٣) سورة الزلزلة الآيتان: ٧، ٨.
(٤) ينظر: المحصل، للرازي، ص (٥٥٥، ٥٥٦).
(٥) سورة المطففين الآيات: ١-٥.

وربط بين فضائل الأبرار والإيمان بالبعث فقال: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ۝١٠ ﴾[1].

قال الإمام ابن حزم: "إن القول بالمعاد أمر اتفق عليه جميع أهل القبلة، فالبعث حق، وليس هناك أسوأ تمييزًا ممن لا يقر بالمعاد ولا يعرف إلا هذه الدار"[2].

ولسورة الحج شأن مع الإيمان بالله تعالى وبرسوله عليه الصلاة والسلام والبعث والنشور ؛ حتى ليصح القول: إن التوكيد على حقيقة البعث وإقامة الحجج الدامغة والبراهين الساطعة على أنه المصير الذي لا مهرب منه ولا محيص عنه هو مقصدها الأسمى وقضيتها الكبرى.

ومن زاوية هذا المنظور يتبدى جليًّا ذلك التكامل والتماسك والاتساق بين سياقات آيات السورة، إذ تتنقل في انسجام رائق بين الحجج والبراهين العقلية على حقيقة البعث، وأصناف الناس في إنكارهم له، ودعاوى كل صنف منهم التي يقيمون عليها جحدهم له، وبين الأمثال التي ساقها الله – تعالى– لتقريب البعث من الأذهان، وبين أواصر الربط التي أقامتها الآيات بين تعظيم شعائر الله وبين الإيمان وتقوى القلوب، إذ تفصّل مناسك الحج وما وراءها من معاني التسليم المطلق لله تعالى. والتجرد من زينة الدنيا وزخرفها وغرورها، وسوق الآيات مشاهد البعث والحساب في تصوير نابض بالحياة والحركة، وتدليلها على أن هذه الصور هي حق آت لا ريب فيه؛ من خلال الربط بين هذه الصور وبين مراحل خلق الإنسان وتطوره بدقة ومصداقية برهنت عليها آفاق العلم الحديث وما تكشّف فيها من هذه المراحل، إذ يقول – سبحانه – بأدق بيان وأنصع برهان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ﴾.

(١) سورة الإنسان الآيات: ٧-١٠.

(٢) المحلى، لابن حزم (١٧/١).

**المطلب الثاني: منهج السورة في الدعوة إلى الإيمان بالبعث**

من أبرز سمات المنهج القرآني في البنية البيانية لسورة الحج؛ ذلك التآلف والتمازج الذي بثه الخطاب القرآني في السورة الكريمة بين القضايا والمضامين الإيمانية التي تضمنتها الآيات، وبين حقيقة البعث وما استفاضت الآيات في تبيانه من حجج وبراهين عليه ؛إذ جعلتها السورة قضيتها الأساسية مع الإيمان بالوحدانية لله تعالى والنعي على المشركين في إنكارهم التوحيد والذي منه البعث، فردت السورة الكريمة على منكري البعث بالمنطق الذي يطمئن له العقل وتطمئن إليه النفس وهو منطق الفطرة للوصول إلى الاقتناع وإلزام المعاندين والمكابرين بالتسليم بحتمية البعث وأن الناس جميعًا مردهم إلى الله وحسابهم على الله وهم يجزون بأعمالهم في موقف الجزاء والحساب بين يدي الله تعالى.

وقد تعددت مظاهر بناء آيات البعث في سورة الحج التي تُجلي المنهج القرآني بهذا التكامل، ومن أبرزها ما يلي:

**- تنوع الأدلة:**

عرضت سورة الحج موقف المنكرين للبعث، فاستدلت على البعث بدليلين:

- إظهار قدرة الله في خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا... ﴾[1]، وقد كان هذا الدليل المؤسس على قياس الأولى، على رأس الأدلة التي استند إليها أهل العلم في معرض النقد لمنكري البعث، والذي يستند إلى أن القادر على شيء، هو قادر على مثله، وعلى ما هو أقل منه، ومن ثم فإن الذي يقدر على خلق شيء ابتداء من لا شيء، فلأن يكون قادرا على إعادته أولى، إذ الإعادة أيسر من الابتداء، على ما تقدم في بيان الرد على شبه المنكرين.

- قياس الإعادة على البدء قال تعالى: ﴿... وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾. قال الطاهر بن عاشور: "وهذا ارتقاء في الاستدلال على الإحياء بعد الموت بقياس التمثيل لأنه

(١) سورة الحج آية: ٥.

استدلال بحالة مشاهدة فلذلك افتتح بفعل الرؤية، بخلاف الاستدلال بخلق الإنسان فإن مبدأه غير مشاهد فقيل في شأنه: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ الآية. ومحل الاستدلال من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾، فهو مناسب قوله في الاستدلال الأول: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾، فهمود الأرض بمنزلة موت الإنسان، واهتزازها وإنباتها بعد ذلك يماثل الإحياء بعد الموت"[(١)].

وهكذا سلكت سورة الحج مسالك متنوعة وعرضت الأدلة العقلية والنقلية لتأكيد وإثبات قضية البعث، والرد على شبه المنكرين بالأدلة المختلفة المشاهدة والمحسوسة التي تخاطب العقل والوجدان ولا يستطيع أن ينكرها إنسان؛ لأنها مبثوثة في الأنفس والآفاق، ولأنها لا تتنافى مع الفطرة السليمة.

ففي هذه الآية يحتج الله تعالى على عباده بما أراهم من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه على الإحياء الذي استبعدوه، وذلك قياس إحياء على إحياء، واعتبار الشيء بنظيره؛ والعلة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه، وكمال حكمته؛ وإحياء الأرض دليل العلة[(٢)]، وهذا من باب الاستدلال على قدرة الله الكاملة، وقد جاء الكثير من آيات القرآن على هذا النسق.

**المطلب الثالث: التنوع الدلالي في إثبات البعث في سورة الحج**

توافر القرآن الكريم على معطيات كثيرة ثبت في خطابه قوة حجاجية وإقناعية ذات تأثير عميق في كل عقل يتناوله بتجرد وانصياع لأحكام العقل المطلقة والكلية، كما أن من خصائصه على ما بين الزركشي بأن الخطاب القرآني خطاب تهييج وإغضاب، وتشجيع وتحريض وتنفير، وتحبيب وتعجيز، وتكذيب وتشريف[(٣)].

وقد احتوى على جميع البراهين والأدلة، فما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير تبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به، فهو أقوى الحجج والبراهين[(٤)]، فالقرآن الكريم يخاطب الإنسان بما يجيش في الصدور، وما يتردد في أعماق النفس الإنسانية، كما يبين بأجلى البيان وأدقه وأوضحه ما أعده الله –تعالى– في الآخرة من ثواب مقيم للطائعين العابدين الخاشعين، وما أعده من عقاب شديد أليم للكافرين المعاندين والعصاة المذنبين، كل ذلك في دقة جلية وعبارة واضحة تمام

(١) التحرير والتنوير (٢٠٣/١٧).
(٢) إعلام الموقعين (١٠٧/١).
(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٣١٣/١) وما بعدها.
(٤) ينظر: المصدر السابق (٣٠/٢).

الوضوح لا يكتنفها غموض، ولا يحيطها إبهام بل هي مفصلة، لقول ربنا -سبحانه-: ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[1]، ولقد عمد القرآن الكريم إلى المنهج الاستدلالي العقلي لينفذ - أول ما ينفذ - إلى العقل، فيوقفه إزاء حجج ناصعة وبراهين ساطعة وأقيسة دقيقة متوازنة، على نحو وفي نسق لا مفر للعقل السوي المستقيم معه سوى الإذعان لحقيقة البعث والجزاء، والطمأنينة إلى أنه المعنى الذي يتحقق به جوهر العدل في الوجود، وينتفي به عنه معنى العبث.

ويدمج خطاب السورة بين تلك الآلية الدلالية في إثبات حقيقة البعث والجزاء وبين آلية أخرى؛ هي التصوير الدقيق والإخبار الجازم بمشاهد يوم القيامة وما فيه من بعث وحساب، فإذا خطابه آخذ بمجامع كيان الإنسان، إذ ينفذ إلى نفسه التسليم والإذعان والرضا - وهي من ثمرات الإيمان - بعد أن تطامن عقله إلى حقيقة البعث والجزاء، وإذا بكل صورة أو تعبير قرآني عن اليوم الآخر يضيف جديدًا من الإيمان، وعميقا من اليقين وشعورًا يمس النفس والقلب بالخوف والرجاء فيثمر هذا الشعور تعلقا ولواذًا بالله وامتثالا لأمره واجتنابًا لنهيه واعتصامًا بدينه فيتكامل البناء الإنساني للمسلم؛ مؤمنًا بالله سبحانه إلهًا واحدًا لا شريك له، وموقنًا بعدله المتحقق في حقيقة البعث والجزاء، وطامعًا في حسن ثوابه، وشفقًا من حسابه وعقابه.

وقد تنوع الحجاج في سورة الحج لإثبات قضية البعث بدليلين:

**أولًا: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها:**

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿... وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٍ ﴾.

**ثانيًا: قياس الإعادة على البدء:**

ويعد هذا القياس من القياس الأولى، وهو ما كان الفرع فيه أولى بالحكم من الأصل لقوة العلة وظهورها فيه[2]، وذلك مستفاد من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا... ﴾.

(١) سورة هود آية: ١.

(٢) الرسالة، للشافعي، ص (٥١٣).

**المبحث الرابع: أدلة البعث و الجزاء في سورة الحج**

وفيه ثلاثة مطالب:

للإيمان أركان وعناصر يختل باختلال أحدها، ويسقط بسقوطه، وينتقض بانتقاضه. وهذه الأركان مبثوثة في القرآن الكريم في كثير من آياته، وقد جمعها وأوجز بيانها النبي ﷺ لما سئل عن الإيمان، قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

وبهذه المثابة يتبين أن الإيمان بالبعث والجزاء هو ركن ركين من أركان الإيمان، وجزء لا يتجزأ منه.

ومن جهة أخرى فإن التصديق بالبعث والجزاء والحساب لأنها قضية إيمانية ولهذا كانت غالبية الإشارات القرآنية إليها والحديث عنها والتوجيه والإرشاد إليها؛ قائمة بدرجة كبيرة وعلى نحو ظاهر – على القوة في الحجةفي آيات البعث، خطابًا للعقل وتفنيدًا لشبهات المنكرين ودحضًا لها بالأدلة الدامغة والبراهين القاطعة التي يتوجه الخطاب فيها مثل ذلك.

ومن أكثر سور القرآن الكريم عناية بقضية البعث وتركيزًا عليها كانت سورة الحج، وكان هذا النهج الحجاجي بيّنَا فيها، بما ساق الله – تعالى – في آياتها من أدلة البعث والجزاء.

وفي هذا المبحث نتناول تلك الأدلة في المطالب الثلاثة التالية:

**المطلب الأول: الاستدلال بإعادة الخلق**

في بسط القرآن الكريم لأدلة البعث في سورة الحج، وفي سور أخرى غيرها – كان لدليل "إعادة الخلق" صدارة في تلك الأدلة، إثباتاً لإمكان البعث بعد الموت؛ بالتمثيل له بما يشهده الناس في كل حين من إعادة الخلق وبث الحياة في الأرض بعد موتها وصيرورتها هامدة ساكنة لا أثر فيها لما كانت عامرة به من مظاهر الحياة، فيعرض سبحانه هذا المشهد المرئي المحسوس استدلالاً بما فيه من إعادة الخلق على البعث والجزاء، فقال تعالى: ﴿... وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾.

فالله – سبحانه – يوقف كل منكر للبعث أمام هذا الدليل المشهود الذي لا يمكنه إنكاره، ليسائله الدليل نفسه عن إمكان البعث إذ يرى بعينيه تحقق هذا البعث في هذه

(١) أخرجه مسلم (٣٦/١) كتاب الإيمان، باب: معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، حديث (٨/١).

الصورة الحية التي مر عليها عشرات ومئات المرات. وليقول له هذا الدليل: إن البعث بعد الموت وإحياء الأجساد البالية ونفخ الروح فيها من جديد ليس سوى هذا الذي يشهده من إعادة للخلق في الأرض الميتة.

ولسطوع هذا الدليل وما به من قوة ودلالة على البعث والجزاء، فقد كان سبر ما به من برهان قاطع على البعث ميسور المأتى للمفسرين، فاستفاضوا في تبيان ما حوى من بينات وما انطوى عليه من حجج دامغات على البعث والجزاء.

ومن ذلك ما بينه الإمام الطبري: "يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله أيضا وأدلته على قدرته على نشر الموتى من بعد بلاها، وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها أنك يا محمد ترى الأرض دارسة غبراء، لا نبات بها ولا زرع"(١).

وقال غيره: "وقوله: ﴿ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٍ ﴾ قيل: البهيج: الحسن؛ يخبر في كل هذا بقدرته وسلطانه: أن من قدر على إحياء الأرض بعد ما كانت يابسة ميتة، لقادر على إحياء الموتى بعد الموت، وبعد ما صاروا ترابًا"(٢).

وقال الماوردي في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓ ﴾(٣) الآية، "جعل ذلك دليلًا لمنكري البعث على إحياء الخلق بعد الموت استدلالًا بالشاهد على الغائب"(٤).

وقال الواحدي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ ﴾(٥) "المعنى: ولتعلموا أن الساعة آتية، أي: بَدْءُ الخلق وإحياء الأرض بالماء دلالة لكم لتعلموا بها أن القيامة آتية، وأن البعث حق وهو قوله ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾"(٦).

ولمزيد من الحجة والإقناع في دليل إعادة الخلق، متمثلاً في إحياء الأرض بعد موتها وصيرورتها جرداء قاحلة هامدة كهمود الموتى، وفي الاستدلال به على إمكان بعث الناس بعد موتهم وبِلَى أجسادهم؛ فقد عمد الخطاب القرآني إلى التنويع التعبيري في تصويره للأرض الجدباء، فوصفها تارة بالهامدة وتارة بالخاشعة، وفيه من التنويع التعبيري الملائم لكل صورة تمثيلية ورد فيها كل وصف من هذين الوصفين.

(١) انظر:تفسير الطبري (٢١/٤٧٥).
(٢) تفسير الماتريدي (٧/٣٩٣).
(٣) سورة فصلت آية: ٣٩.
(٤) تفسير الماوردي (٥/١٨٤).
(٥) سورة الحج آية: ٧.
(٦) التفسير البسيط (١٥/٢٧٧).

فيقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ﴾.

ثم يقول – جل شأنه – في سياق تعبيري آخر: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[1].ئ

والقاسم المشترك بين هذين السياقين التعبرين هو المطر الذي يكمن فيه سر الحياة بمقدرة الله وتقديره، ليستدل به على أن الرب القادر على إنزال المطر لتحيا به الأرض الممحلة قادر على إعادة الروح إلى الأجساد البالية، فالمطر إذ ينزل على الأرض بعد جدبها فيحييها هو إشارة إلى الروح إذ تعود إلى البدن البالي فتحييه.

والمطر نعمة من نعم الله – سبحانه – على المخلوقات، وقد خبروا بما عاينوا وأيقنوا ألا حياة بدونه وبتنبيه العقول والقلوب إلى هذه النعمة وتعلق الحياة بها يسهل عليها الانقياد للقوة الإقناعية في دليل إعادة الخلق، وتفطن لما في هذه النعمة الظاهرة من مظاهر نعم الله وكرمه وتفضله على العباد، وهذه وسيلة ترغيب ودعوه للتفكير لأنه يحرك قلوب العباد نحو المنعم المتفضل عليهم.

يقول القرطبي: "إن من نعم الله تعالى على خلقه وفضله عليهم الماء الذي هو حياة الأبدان ونماء الحيوان، أنزله الله تعالى من السماء بقدرته ورحمته، وقد رفعه الله تعالى – من البحر – بلطفه وحسن تقديره،حتى طاب بذلك الرفع والتصعيد، ثم أنزله إلى الأرض لينتفع به، ولو كان الأمر إلى ماء البحر لما انتفع به لملوحته.

(١) سورة فصلت الآيات: ٣٧-٣٩.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾[1]، فالحق سبحانه وتعالى يرفع الماء إلى السماء – ليطهره من ملوحته– ويعيده الأرض عذبا فراتا سائغ شرابه وهذه من آيات الله تعالى الدالة على عظمته وكرمه وجوده على عباده، وأنه سبحانه وتعالى يجري هذه الآيات الكونية لنفع العباد ومنفعتهم[2]، وأن في إعادة الخلق بما سخر سبحانه من طاقة الحياة في نعمة الماء دليلاً على البعث.

ولذا فقد كثرت في القرآن الكريم تلك الآيات التي أمر الله – تعالى – فيها الناس أن ينظروا بأبصارهم، وأن يتدبروا بعقولهم في هذه الأرض الميتة التي لا منفعة للإنسان فيها قبل إحيائها. انظروا إليها عندما يلقي الزارع فيها الحب والبذر ويسقيها بالماء، أو ينزل الله عليها المطر، وليس للإنسان دخل في إنباتها إلا الحرث والسقي فإنك ترى هذه الأرض بعينك قد مدت واهتزت، وأخذت زخرفها وازّينت. اهتزت بما نبت عليها من الزرع والثمار والفواكه والزهور مما جاء ذكره في القرآن مع اختلاف ألوانه، وأشكاله، وتعدد أصنافه، وطعومه. إن الذي أودع فيها الحياة بعد موتها قادر على إحياء الإنسان مرة ثانية.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[3].

فلو لم تصرح الآيات أو تعقب بما نصه أو فحواه أن الله تعالى – إذ يحيى الأرض بعد موتها – على هذا النحو المعاين المشهود – لقادر على بعث الموتى وإحيائهم للحساب؛ لكان في محض هذا الحشد التعبيري دليلاً على البعث، استدلالًا بإحياء الأرض بعد موتها، بحسبانه مثلًا تقريبيًا أمام الناس ليعرفوا أن البعث حق وأن إحياء الموتى لو كان مستحيلًا لما عادت الحياة للأرض بعد موتها.

ومما لاشك فيه أن الإله القادر الحكيم الذي أبدع الأرض على هذا النمط وأفاض عليها من الطاقات ما بها ازدهار الوجود، واهتزاز التربة الساكنة إذا نزل عليها الماء، وإنباتها بشتى أنواع الثمار المختلفة لدليل واضح وجلي على قدرة المحيي –سبحانه– على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم للعرض عليه يوم الحساب.

(١) سورة المؤمنون آية: ١٨، والجامع لأحكام القرآن (٦/١٢: ١٠).
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٧٤/١٢، ٧٥).
(٣) سورة الحج آية: ٦٣.

قال الرازي: "قوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ يعني: أن الذي يصح منه إيجاد هذه الأشياء لا بد وأن يكون واجب الإنصاف لذاته بالقدرة، ومن كان كذلك كان قادرًا على جميع الممكنات، ومن كان كذلك، فإنه لا بد وأن يكون قادرًا على الإعادة، ورابعها: قوله: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧ ﴾ والمعنى: أنه لما أقام الدلائل على أن الإعادة في نفسها ممكنة، وأنه سبحانه وتعالى قادر على كل الممكنات وجب القطع بكونه قادرًا على الإعادة في نفسها، وإذا ثبت الإمكان والصادق أخبر عن وقوعه فلا بد من القطع بوقوعه، واعلم أن تحرير هذه الدلالة على الوجه النظري أن يقال: الإعادة في نفسها ممكنة والصادق أخبر عن وقوعها، فلا بد من القطع بوقوعها، أما بيان الإمكان، فالدليل عليه أن هذه الأجسام بعد تفرقها قابلة لتلك الصفات التي كانت قائمة بها حال كونها حية عاقلة، والبارئ سبحانه عالم بكل المعلومات قادر على كل المقدورات الممكنة، وذلك يقتضي القطع بإمكان الإعادة لما قلنا إن تلك الأجسام بعد تفرقها قابلة لتلك الصفات؛ لأنها لو لم تكن قابلة لها في وقت لما كانت قابلة لها في شيء من الأوقات، لأن الأمور الذاتية لا تزول، ولو لم تكن قابلة لها في شيء من الأوقات لما كانت حية عاقلة في شيء من الأوقات، لكنها كانت حية عاقلة فوجب أن تكون قابلة أبدا لهذه الصفات. وأما أن البارئ سبحانه يمكنه تحصيل ذلك الممكن فلأنه سبحانه عالم بكل المعلومات فيكون عالمًا بأجزاء كل واحد من المكلفين على التعيين وقادرًا على كل الممكنات، فيكون قادرًا على إيجاد تلك الصفات في تلك الذوات. فثبت أن الإعادة في نفسها ممكنة وأنه سبحانه يمكنه تحصيل ذلك الممكن. فثبت أن الإعادة ممكنة في نفسها. فإذا أخبر الصادق عن وقوعها فلا بد من القطع بوقوعها، فهذا هو الكلام في تقرير هذا الأصل"[1].

**المطلب الثاني: الاستدلال بالتدرج في خلق الإنسان**

التدرج في الخلق هو مابينته آيات سورة الحج, وهو ما نراه في خلق الإنسان, حيث بدأ نطفة, فعلقة.. إلى أن يصير كهلا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ

(١) تفسير الرازي (٢٠٦/٢٣).

وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ ... ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[1].

اشتملت الآيات على مقدمات تجذب النفوس، ثم ختمت بالنتيجة الحتمية التي لاشك فيها، والتي يجب الإيمان بها وهي: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾.

هذه المقدمات مكونة من دليلين محسوسين مشاهدين لجميع الناس ناطقين بقدرة الله (ﷻ)، ولهذا استدل أهل العلم على ثبوت البعث ووقوعه بخلق الإنسان في رحم أمه ومراحل تكوينه، وأطواره التي يمر بها، فأشار تعالى إلى بعض المخالفين للبعث المنكرين للمعاد ثم أعقب هذه الإشارة بذكره تعالى الدليل على قدرته على المعاد بما يشاهد من بدئه للخلق، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ أي: أصل خلقكم آدم من تراب، ويمكن القول بأن المراد بالخلق من تراب هو الإنسان حيث إن أصله من المني، والمني يتكون من الغذاء، والغذاء منبته من الأرض، والأرض من مكوناتها التراب، ثم من نطفة ثم من علقة، ثم من مضغة، وهي مراحل وأطوار يمر بها الجنين في رحم أمه.

فالبدء كالإعادة، ولكن القرآن يأخذ البشر بمقاييسهم، ومنطقهم، وإدراكهم، فيوجه قلوبهم إلى تدبر المشهود المعهود لهم، وهو يقع لهم كل لحظة؛ ويمر بهم في كل برهة؛ وهو من الخوارق لو تدبروه بالعين البصيرة والقلب المفتوح، والحس المدرك. ولكنهم يمرون به أو يمر بهم دون وعي ولا انتباه.

والسنة النبوية المطهرة، التي لا ينطق صاحبها عن الهوى؛ إن هو إلا وحي يوحى؛ بينت المراحل لخلق الإنسان، تفصيلًا لما جاء به الذكر الحكيم، وحتى تستتم الإحاطة بعقول المنكرين والمتشككين من جوانبها جميعًا، فلا يكون لها من التصديق بالبعث مناص بميزان العقل الذي يتوجه الشرع الحنيف إليه بالخطاب في هذه القضية المركزية من قضايا الإيمان.

فنقف إزاء حديث نبوي شريف يشكل إعجازًا في حد ذاته بمقاييس علم الأجنة الذي لم يعرفه التاريخ العلمي للبشرية إلا قبل أقل من قرن من الزمان، بالإضافة إلى كونه إعجازًا بمعيار ما يحمله من استدلال على البعث بمراحل خلق الإنسان، إذ يقول

(١) سورة الحج آية: ٧

ﷺ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ..."(١).

يوضح حديث رسول الله ﷺ السابق أن خلق الإنسان يمرُّ بثلاث مراحل، وهي: النطفة، والعلقة، والمضغة، تكتمل خلال الأربعين يومًا الأولى من بدء عملية الإخصاب، والملاحظات العلمية الدقيقة التي تجمّعت لدى العاملين في حقل علم الأجنة البشرية تؤكد ذلك.

وكان بعض علماء الحديث قد فهموا تلك المدة على أنها ثلاث أضعاف ذلك– أي مائة وعشرين يومًا– لأنهم فهموا التعبير بـ "مِثْلَ ذَلِكَ" في نصِّ الحديث على أنها تُشير إلى الفترة الزمنية المحدَّدة بأربعين يومًا لكل مرحلة من المراحل الثلاث: النطفة، والعلقة، والمضغة، وينفي ذلك الفهم حديثٌ آخر لرسول الله قال فيه: "إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا، وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا..."(٢).

وشكل المضغة لا صلة له بشكل الإنسان من قريب أو بعيد، ولكن تبدأ المضغة في اكتساب الشكل الإنساني بالتدريج في الأيام الخمسة التالية لتخلّقها؛ أي في الفترة من اليوم الأربعين إلى الخامس والأربعين من بعد عملية الإخصاب، وفي اليوم الخامس والأربعين يتم تكوُّن الأعضاء، والهيكل العظمي بصورة ظاهرة، وتستمرُّ عملية الانقسام الخلوي والتمايز الدقيق في الخلق بعد ذلك.

وقد ثبت بالدراسات المستفيضة في مجال علم الأجنة البشرية أن هذه المراحل لا تبدأ إلاَّ مع نهاية مرحلة المضغة، أي مع نهاية الأسبوع السادس من بدء الحمل (بعد ثنتين وأربعين ليلة) وبذلك يثبت صدق رسول الله في الحديثين المذكورين، وفي كل حديث قاله.

كيف عرف محمد رسول الله هذه الدقائق العلمية المعقدة، والمتناهية الدقَّة في خلق الجنين، والتي تتراوح أبعادها بين الجزء من عشرة آلاف جزء من المليمتر حتى تصل إلى حوالي عشرة ملليمترات فقط (٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٥٠/٦) كتاب بدء الخلق، باب: في ذكر الملائكة (٣٢٠٨) ومسلم (٢٠٣٦/٤)، كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي (٢٦٤٣/١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٣٧/٤) كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي (٢٦٤٣/٣).. وقد علق الدكتور محمد فياض على فهم بعض علماء المسلمين الخاطئ للحديث في كتابه إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ص (١٣٤).

(٣) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، زغلول النجار، ص (٢١٦ – ٢٢٢).

وهذه المراحل الجنينية حتى لو نزلت مع السّقط وهي غارقة في الدماء ما كان ممكنًا للإنسان أن يُدركها فضلًا عن رؤيتها، ووصفها، وتسميتها بأسمائها الصحيحة، ومن هنا كانت تعبيرات وصف مراحل الجنين كما جاء في الحديث السابق من أوضح جوانب الإعجاز العلمي في سُنَّة رسول الله ودليلًا ناصعًا على صدق نبوته.

هذه بعض الإشارات العلمية في سُنَّة رسول الله، والمجال لا يتَّسع لعرض المزيد منها، ولكنها تؤكِّد بما لا يدع مجالًا للشكِّ صدق النبي محمد فيما بلَّغ عن ربِّ العزَّة[1]، وصدقه ﷺ فيما اتخذ من مراحل خلق الإنسان هذه – دليلًا حجاجيًّا قاطع البرهان على البعث والجزاء.

إن هذه الأطوار التي يمر بها الجنين، ثم يمر بها الطفل بعد أن يرى النور لتشير إلى أن الإرادة المدبرة لهذه الأطوار ستدفع بالإنسان إلى حيث يبلغ كماله الممكن في دار الكمال. إذ إن الإنسان لا يبلغ كماله في حياة الأرض، فهو يقف ثم يتراجع ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ فلا بد من دار أخرى يتحقق فيها تمام الإنسان، فدلالة هذه الأطوار على البعث مزدوجة.. فهي تدل على البعث من ناحية أن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة؛ وهي تدل على البعث لأن الإرادة المدبرة تكمل تطوير الإنسان في الدار الآخرة.. وهكذا تلتقي نواميس الخلق والإعادة؛ ونواميس الحياة والبعث؛ ونواميس الحساب والجزاء وتشهد كلها بقدرة الخالق المدبر الذي ليس في قدرته المطلقة جدال.

فالذي صور الجنين هذا التصوير في رحم أمه: فجعله في أحسن تصوير وخلقه فأحسن خلقه. ورعاه بعنايته ويسر له السبيل حتى خرج من رحم أمه. ورعاه بعد خروجه من رحم أمه؛ فأنعم عليه بنعم كثيرة لهو قادر على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم.

وقد أعمل العلماء والمفسرون عقولهم في أرجاء هذا الدليل الساطع على البعث، فكثرت فيه طروحاتهم ورؤاهم وثواقب أفكارهم، فساقوها ساطعة كسطوع هذا الدليل نفسه، ليزداد المؤمنون إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا بحقيقة البعث والجزاء، ولينفض المنكرون والمتشككون غبار الإنكار والشك عن عقولهم إذا هم أحسنوا الإصغاء إلى ما ينطوي عليه دليل مراحل خلق الإنسان من دافع الحجة على البعث، وأحسنوا إعمال عقولهم في مقدماته ونتائجه التي استفاض هؤلاء العلماء في بسطها وتيسير مآتيها إلى كل عقل سوي باحث عن الحق.

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية, د. راغب السرجاني, موقع قصة الإسلام الإلكتروني.

ومن ذلك ما يقوله الإمام ابن القيم: "إن خلق الإنسان من أعظم الأدلة على التوحيد والمعاد وأي دليل أوضح من تركيب هذه الصور الآدمية بأعضائها وقواها وصفاتها وما فيها من اللحم والعظم والعروق والأعصاب والرباطات والمنافذ والآلات والعلوم والإرادات والصناعات كل ذلك من نطفة ماء فلو أنصف العبد ربه لاكتفى بفكرة نفسه"(١).

ويحسم الرازي الاستدلال بهذا الدليل البيّن على البعث، فيقول في عبارة مكثفة لا تخطئ هدفها في العقل المستقيم المتجرد للبحث عن الحقيقة في قضية البعث: "أنه تعالى لما كان قادرا على أن يخلقنا ابتداء من غير مثال سبق، فلأن يكون قادرا على إيجادنا مرة أخرى مع سبق الإيجاد الأول كان أولى، وهذا الكلام قرره تعالى في آيات كثيرة، منها هذه الآية"(٢).

**المطلب الثالث: الاستدلال بالخلق والإيجاد من عدم**

في بيان جلي وضح الخطاب القرآن في سورة الحج بين الدليلين السابقين: دليل إعادة الخلق، ودليل مراحل خلق الإنسان؛ وبين هذا الدليل الثالث، وهو الخلق والإيجاد من عدم وعلى غير مثال، تبياناً للاستدلال على البعث وإرساء للحجة به، وليتآزر هذا الدليل الذي كثفت سورة الحج النظر إليه، مع مرات أخرى كثيرة سيق فيها في مواضع وآيات شتى من القرآن الكريم ليصنع الخطاب القرآني من ذلك الحجة الدامغة، وليُعمِل كل ذي نظر نظره وكل ذي عقل عقله في أي جزئية منه وفي أي موضع ورد فيه هذا الدليل، فيصل إلى ما لا ريب هو واصل إليه إذا ما نفض عن بصره غبار الشك وحرر عقله من أغلال الجحود والإنكار.

ولقد سلكت سورة الحج هذا المسلك ضمن مسالكها المتعددة للاستدلال على البعث، وهو دليل واضح وقوي للرد على منكري البعث، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴾(٤).

(١) الفوائد، لابن القيم، ص (١١).
(٢) تفسير الرازي (١٩٤/١٧).
(٣) سورة الحج آية: ٦٥.
(٤) سورة الحج آية: ٦٦.

ولقد جاءت الآيات في سياق الاستدلال بهذا الدليل على البعث والجزاء كثيرة في غير سورة الحج وعلى نحو تتآزر فيه كل آية منها مع غيرها، ليترسخ اليقين بحقيقة البعث من خلال كثرة التوكيد عليها بخلاصة هذا الدليل، ومن ذلك قوله – تعالى–: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِأَئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١).

وهذا مثل واضح جلي ضربه الله – عز وجل– لقدرته على البعث من الفناء والخلق من العدم ولا مخلوق قادر على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾(٦).

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٧).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.
(٢) سورة آل عمران آية: ١٨٩.
(٣) سورة المائدة: الآية ٤٠.
(٤) سورة الأنعام: الآية ٩٦.
(٥) سورة هود: الآية ٤.
(٦) سورة النحل: الآية ٧٠.
(٧) سورة النحل: الآية ٧٧.

وقولـــه تعـــالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١).

وقولـــه تعـــالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾(٢).

وقوله تعـــالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣).

وقولـــه تعـــالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٤).

ناطقة بأوضح دلالة على عظيم قدرة الله – تعالى – وأنه بمثل ما هو قادر علـــى الخلق والإيجاد من عدم، فإن البعث بعد الإماتة والإبلاء أيسر عليه. فـــسبحانه: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴾(٥).

وسبحانه إذا يقـــول عـــن نفـــسه: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾(٦).

وبمثل ما تممت السنة النبوية المشرفة تبيان دليلي إعادة الخلـــق ومراحـــل خلـــق الإنسان، بما ورد منها مفصلًا إشارات ودلالات كل منهما؛ فكذلك عنيـــت وحفلـــت بمـــا يستدل منه – من خلال دليل الخلق والإيجاد من عدم – على حقيقـــة البعـــث وحتميتـــه، وعلى عظيم قدرة الله – تعالى – على خلقه وتقديره لكل شيء... ومن ذلك: حيث جابر بن عبد الله السلمي قال: "كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَـــا يُعَلِّمُهُمْ السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ يَقُولُ إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْـــدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الْأَمْرَ ثُمَّ تُسَمِّيهِ بِعَيْنِهِ خَيْرًا لِـــي فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ قَالَ: أَوْ فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُـــمَّ

(١) سورة النور: الآية ٤٥.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٥٤.
(٣) سورة العنكبوت: الآية ٢٠.
(٤) سورة الروم: الآية ٥٠.
(٥) سورة السجدة: الآية ٧.
(٦) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

بَارِكْ لِي فِيهِ اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ"(١).

وأوضح من ذلك دلالة على استدلال السنة بدليل الخلق والإيجاد من عدم على حقيقة البعث ما ورد عن النبي ﷺ فيما يرويه ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففته فقال: يا محمد أيبعث الله هذا بعدما أرم؟ قال: نعم يبعث الله هذا يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم قال فنزلت الآيات: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾(٢).

وهكذا تتعاضد الدلالات المستقاة من دليل الخلق والإيجاد من عدم، كما ورد الاستدلال به في آيات سورة الحج وفي غيرها من آيات القرآن الكريم، وكما ورد الاستدلال به في السنة النبوية المطهرة، لتشكل معًا أفقًا دلاليًّا فسيح الأرجاء يتقلب فيه العقل الباحث عن الحقيقة والقلب المتشوق لرحيق طمأنينتها.

ولتكون فحوى الاستدلال بهذا الدليل هي أقرب لما مر بنا من قول الرازي حسمًا للاستدلال بمراحل خلق الإنسان على البعث، أنه لما كان سبحانه قادرًا على خلق سائر المخلوقات من عدم وإيجادها ابتداءً على غير مثال، فلأن يكون قادرًا على إيجادها مرة أخرى مع سبق الإيجاد الأول الذي صنع به لكل مخلوق منها مثالًا، هو أولى وأدنى لقبول العقل واطمئنان القلب.

(١) أخرجه البخاري (٤٨/٣) في التهجد، باب: ما جاء في التطوع (١١٦٦) من حديث جابر.

(٢) سورة يس آية: ٧٧، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤٦٦/٢) عن ابن عباس، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

**الخاتمة:**

من هذا خلال هذا البحث عرضت للتعريف بسورة الحج، وعناية القرآن الكريم بتقرير العقيدة الصحيحة وأهمها عقيدة البعث والجزاء، والإيمان بالبعث وأهميته في حياة الإنسان ثم بينت بعضا من مقاصد سورة الحج، وأدلة البعث والجزاء في سورة الحج.

ومن أهم نتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

١- عني القرآن الكريم عناية لا يخطئها نظر المتأمل المتدبر بتقرير عقائد الدين التي يتألق من جماعها جوهر الإيمان وتآزرت معه السنة النبوية في ذلك.

٢- مثلت حقيقة البعث والجزاء قضية محورية من قضايا الاعتقاد التي عنيت آيات القرآن الكريم بتبيانها وسوق الأدلة الدامغة والاستدلالات القاطعة عليها.

٣- كان تقرير حقيقة البعث والجزاء من أبرز مقاصد سورة الحج المباركة، بما ساقت آياتها من الأدلة عليه وبما نوعت من أوجه الاستدلال له.

٤- أن للإيمان بالبعث أهمية لا تُدانى في حياة الإنسان، إذ يعتبر بحق صمام أمان للإنسان والإنسانية من دوامات الفوضى التي يمكن أن تعصف بالوجود الإنساني، إذ ما أيقن الإنسان بأنه لابد مبعوث بعد الموت وواقف للحساب والجزاء بين يدي الله تعالى، لينال المحسن جزاء إحسانه جنة ونعيمًا، وينال المفسد جزاء فساده نارًا وجحيمًا.

**أهم التوصيات:**

التوصية بتنشيط البحث في حقول علوم القرآن الكريم المتعددة، وربطها بالآيات القرآنية المباركة،واستخراج ما فيها من فوائد ودلالات يكون من ثمارها إثراء المكتبة القرآنية.

## المصادر والمراجع


- الأحاديث المختارة، لضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد الحنبلي المقدسي، تحقيق: د.عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط (١)، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: د. يوسف موسى وآخرين، مطبعة السعادة، مصر.
- أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٣٨٠هـ.
- الإسلام والنظر في آيات الله الكونية، د. محمد عبد الله الشرقاوي، طبعة مطابع رابطة العالم الإسلامي بمكة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- أصول الدين، لأبي منصور عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الإعجاز العلمي في السنة النبوية , د. راغب السرجانى , موقع قصة الإسلام الإلكتروني.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
- الاقتصاد في الاعتقاد، محمد أبو حامد الغزالي الطوسي، ط لحلبي، د.ت,.
- الأهوال، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا، تحقيق: مجدي فتحي السيد، مكتبة آل ياسر، مصر، ١٤١٣هـ.
- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، لمحمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.
- البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط (١)، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط (٢)، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- البيان في عدّ آي القرآن، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، ط(١)، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

- تاج العروس من جواهر القاموس «شرح القاموس»، السيد محمد مرتضى محب الدين الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، حكومة الكويت، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.
- تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، لمحمد بن محمد الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.
- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط (١)، ١٤٢٥هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط(٤)، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م.
- التفسير البسيط، لعلي بن أحمد, الواحدي، مكتبة: شستربيتي، إيرلندا، دبلن.
- تفسير البغوي، المعروف بـ «معالم التنزيل»، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، مطبوع بهامش تفسير الخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
- تفسير الفخر الرازي، المشتهر بـ «التفسير الكبير»، ومفاتيح الغيب، لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط(٢)، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
- تهذيب اللغة، الأزهري، لمحمد بن أحمد الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(١)، ٢٠٠١م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط(١)، ١٤١٠هـ.
- جامع البيان في تفسير القرآن، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر وأحمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٧٢م.
- الجامع الصحيح «سنن الترمذي»، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٨هـ– ١٩٧٨م.
- الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت ط(١)، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط(١)، ١٩٨٧م.
- الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية، حسن بن محمد الجسر الطرابلسي، مطبعة الحلبي، ط(٢)، ١٣٧٥هـ.
- دراسات في العقيدة الإسلامية والأخلاق، د/محيي الدين الصافي وآخرين، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، ط(١)، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.
- الدعوة الإسلامية ووسائلها في عصر النبي ﷺ، د. أحمد غلوش، دار الكتب المصرية.
- الرسالة الخالدة، أ/عبد الرحمن عزام، لجنة التعريف بالإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، الكتاب السادس عشر، (د.ط)، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
- الرسالة، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: د. عبد الفتاح بن ظافر كبارة، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمد بن زيد القزويني، تحقيق: بشار عواد، دار الجيل، بيروت، ط(١)، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٨م.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، دار الجنان، بيروت، ط(١)، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.
- سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط(١)، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.
- الشامل في أصول الدين، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: علي سامي النشار، وآخرين، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميري، عالم الكتب، بيروت.
- الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(١) ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(٢)، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط (٣)، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- عقيدة الإيمان بالبعث، د: إسماعيل منصور، دار لطيف للمطبوعات, ١٩٨٨م.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، ط (١)، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، مصر، ١٣٨٠هـ.
- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(٣)، ٢٠٠٥م.
- الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(٢)، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
- في العقيدة الإسلامية والأخلاق، د: عوض الله حجازي وآخرين، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، ط(١)، ١٣٩٧هـ.
- في العقيدة الإسلامية والأخلاق، د: محيي الدين الصافي وآخرون، إدارة المطبعة والكتاب الجامعي، مطبعة جامعة الأزهر، ١٩٩٥م.
- القاموس القويم للقرآن الكريم، أ. إبراهيم أحمد عبد الفتاح، ط مجمع البحوث الإسلامية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- القرآن والعلم الحديث، د. عبد الرازق نوفل، دار الشعب، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض ط(١)، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- الكليات، لأبي البقاء الكفوي، دار الفكر، دمشق.
- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، ط دار المعارف.
- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: د. حمودة غرابة، دار التوفيق النموذجية للطباعة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، السفاريني، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- مجمل اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق الشيخ: هادي حسن حمودي، معهد المخطوطات العربية، الكويت، ط(١)، ١٩٨٥م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط(١)، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والمتكلمين، لفخر الدين الرازي، تحقيق: د: حسين أتاي، مكتبة دار التراث.
- المحصل، للإمام فخر الدين الرازي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط (١)، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- المحصول في علم أصول الفقه، للإمام فخر الدين الرازي، تحقيق: د. طه جابر العلواني، نشر مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(١)، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- المحلى، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، دار الفكر، بيروت، ومطبعة عبد الفتاح مراد، القاهرة.
- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط جديدة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- مذاهب فلاسفة المشرق، د. محمد عاطف العراقي، دار المعارف، مصر، ط(٢)، ١٩٧٣م.

- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
- مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، دار الفكر، بيروت، ط(١).
- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط(٢)، ١٤٠٣هـ.
- المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مطابع دار الشعب، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٥م.
- معجم ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، تحقيق: د: أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، تحقيق: د: محمد مصطفى حلمي، وأخرون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، ط(١)، ١٩٨١م.
- من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك، د: محمد البهي، مكتبة وهبة، ١٣٩٣هـ.
- المنتخب من مسند عبد بن حميد، لعبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط (١)، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض، والسنن، لأبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: محمد بن صالح، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٨هـ.
- نبذة في العقيدة الإسلامية، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط (١)، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
- نظرات في قضية البعث، د: سيد فرج عبد الحليم، بحث مستل من حولية كلية أصول الدين بالقاهرة العدد ١٧ المجلد الثاني، ١٤١٢هـ – ٢٠٠٠م.
- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان.